جمهورية السودان الديمقراطية
وزارة التربية والتعليم العالي
مصلحة الآثار

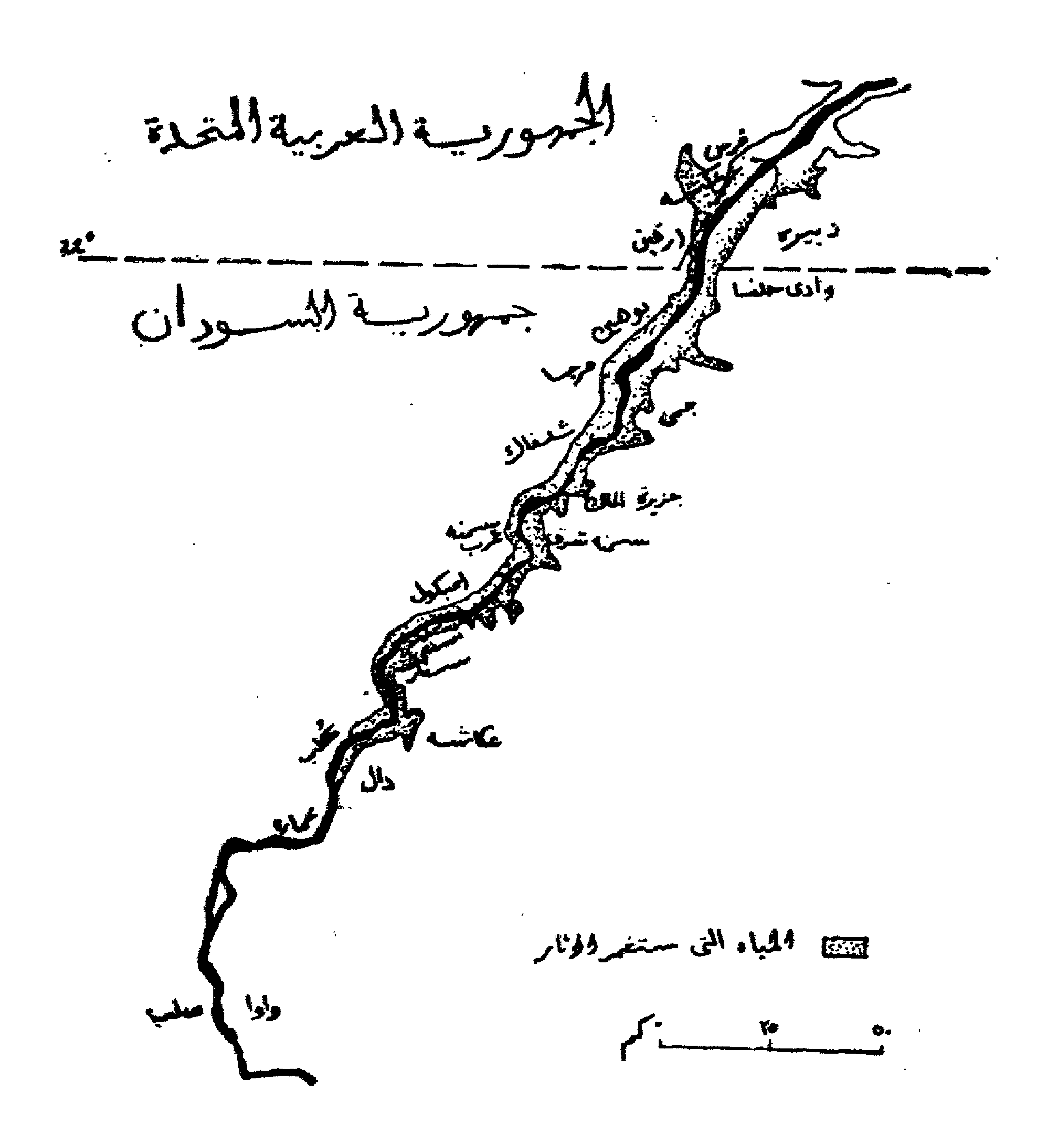
رسالة المتحف رقم :- ٦

إنقاذ آثار النوبة





السيد الرئيس القائد راعى التراث السودانى



خريطه تبين بلاد النوبة السودانية

المهددة بمياه السد العالى

المحتويات

حملة انقاذ آثار النوبة السودانية

مقدمة

يسر مصلحة الآثار السودانية ان تقدم للشعب السوداني الكريم تقريرا عن اكبر مشكلة واجهتها منذ تاسيسها فى مطلع هذا القرن . هذه المشكلة هي انقاذ آثار النوبة السودانية من مياه السد العالي الذى اقامته الجمهورية العربية المتحدة عند اسوان لتهيء لوادى النيل رفاهية ممتدة وتكفل له رخاءواسعا .

ويتناول هذا التقرير ، بايجاز، طبيعة المشكلة وابعادها والجهود التي بذلت لحلها والاعمال التى تم انجازها مشيرا الى بعض النتائج الأولية لتلك الأعمال .

والغرض من تقديم تقرير موجز كهذا احاطة الشعب السوداني ، الذى بذل الكثير لانقاذ تراثه فى النوبة السودانية ، علما ببعض ما حدث هناك فى هذا الصدد الى أن يتم تقديم تقرير مفصل فى القريب العاجل باذن الله وعونه تعالي .

والمولى نسال ان يوفقنا ويسدد خطانا لما فيه خير الأمة السودانية .

المنطقة التي ستغمرها المياه :

تمتد المنطقة التى ستغمرها مياه السد العالى فى بلاد النوبة السودانية من الحدود الجنوبية للجمهورية العربية المتحدة ، الى مسافة تبلغ مائة وثلاثة عشر ميلا داخل الاراضى السودانية • ويتصف هـذا الجزء من الســودان بضيق واديه وكثرة مايعترض مجرى النيل مـن جنادل • ويقلل القيمة الانتاجية لهذه المنطقة ضيق الشـريط الذى يمكن زراعته على جانبى النهر وأكثر من كل هذا ، فان الاقليم عديم المطر لا يصيبه الا بعض الرذاذ احيانا • وعلى هـذا ، فقـد ارتبطت حياة السكان بالنيل من قديم الازمـان والآباد • فكانوا يزرعـون الاراضى الضيقة التى يغمرها النهر عند فيضانه ، وينحسر عنها وقت انخفاضه• أما الزراعة الرئيسية ، فكانت تعتمد على السواقى التى لا تروى الا مساحات محدودة ، ولو أن استعمال المضخات كان قـد انتشر فى الاونة الاخـيرة ، فى الجهات التى نجد بها اراضى فسيحة • وهـذا الاقليم كان يقطنه خمسون الف نسمة من النوبيين ، تم الآن ترحيل خمســة وأربعين الفا منهم الى خشم القربة فى شرق السودان على نهر عطبرة •

اما من الناحية الاثرية فيعتبر هذا الاقليم من اغنى المناطق فى الســودان اذ توجد به آثار الحضارات وبقايا المدنيات من العصر الحجرى الاول الى فتح محمد على باشا للسودان فى عام ١٨٢٠ • وبالرغم من كل هذا فلم يجد هـذا الجزء من الســودان حظا ملموسا من البحث الاثرى اذ لم تمتد اليه يد العلماء والباحثين من قبل الا بالقدر اليسير عندما قام بعض علماء الآثار فى اوائل هذا القرن بتنقيب بعض الحصـون الفرعونية تنقيبا جزئيا فى معظم الأحيان • فهنا مجال واسع للبحث العلمى الاثرى لملء الثغرات التى نجدها فى تاريخ السودان القديم ، ولايجاد الحلول لكثير من المسائل المتعلقة بهذا الموضوع • ولا تخفى اهمية هـذا الجزء مـن بلادنا ، اذا اردنا فهم العلاقات بين مصر والسودان ، وبالتالي بين بلاد حوض البحر الابيض المتوسط وافريقيا فى العهود الكلاسيكية

فهما صحيحا واضحا • فوقوع هـذه المنطقة بين مصر والجهات الجنوبية فى السودان ، جعلها ذات اهمية تاريخية عظمى • وذلك لان الحدود الجنوبية كانت تمتد الى جنوب وادى حلفا فى عهود القوة والازدهار ، وتتقلص الى النوبة السفلى شمال فرص ، فى عصور الضعف والانكسار • فقد حدث هذا مرارا وتكرارا أيام الفراعنة ، وزمن الاغريق والرومان والعرب • فهنا نجد آثار هذا التحول والتقلب المستمرين وبقاياهما ظاهرة فوق سطح الارض تارة ، ومطمورة تحت رمال الصحراء تارة أخرى • فهذه المنطقة هى مسرح الحوادث على مر العصور والدهور • وعليه والامر هكذا ، كان لزاما علينا ان نقوم بانقاذ هذا التراث الانسانى العظيم ، وكان فرضا على الانسانية جمعاء ان تتعاون وتتكاتف لانجاز هذا العمل التاريخى المجيد والواجب الانسانى الكبير •

طبيعة المشكلة :

وحملة انقاذ آثار النوبة السودانية تنحصر فى مشكلتين اساسيتين أولاهما تتعلق بالاعمال الاثرية والثانية تتصل بنقل اربعة معابد من عصر الدولة المصرية الحديثة ، ومقبرة من نفس العهد فريدة فى نوعها من وادى حلفا الى الخرطوم واعادة تشييدها هناك • وتمهيدا لنقل هذه المعابد كان لابد من تسجيل وتدوين نقوشها قبل الشروع فى عملية النقل • كما استلزم هذا الامر تصوير المعابد تصويرا فتوغرامتريا ليساعدنا فى اعادة تشييدها عندما يتم ترحيلها الى المكان المختار • وبجانب كل هذا كان علينا نقل الصور التى وجدت على جدران الكنائس لعرضها فى متحف الخرطوم الجديد •

اما المشكلة الاولى فتنقسم الى ثلاث شعب كلها تقوم على البحث الاثرى العلمى • فقبل كل شيء ، كان لابد من القيام بمسح المنطقة المهددة بالغرق على ضفتى النيل مسحا اثريا بغرض التحقق فى نوع المواقع الاثرية الموجودة بها وتحديد مكانها واتساعها • وكانت القاعدة الاساسية التى اتبعت فى هذا

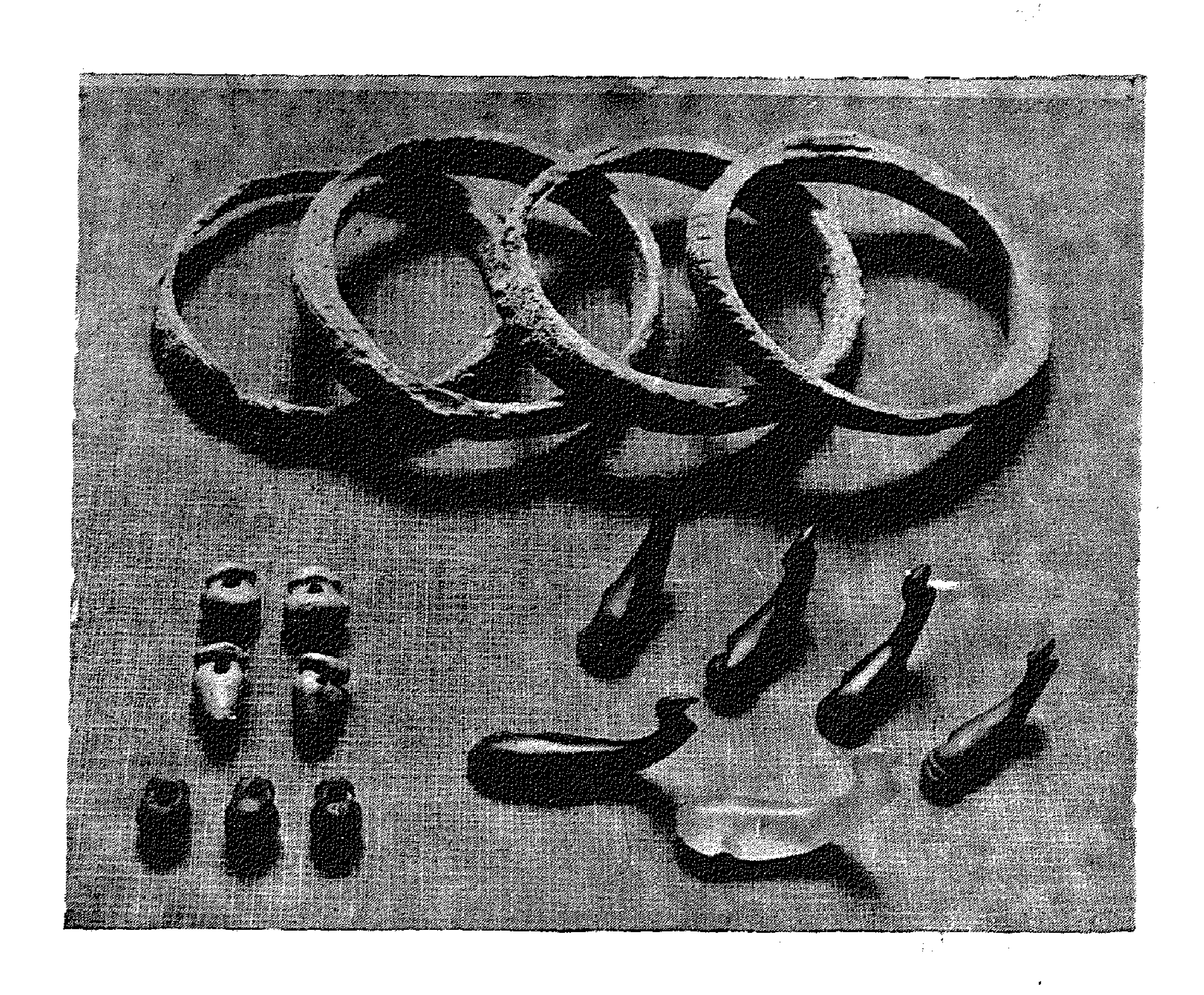


أوانى فخارية من عهد المجموعة الحضارية الاولى (٣١٠٠ ق.م) من شمال بوهين

المضمار هى ملاحظة سطح الارض والتسجيل مع شيء مـن التنقيب حسب ما يقتضيه الامر ، لمعرفة حجم الموقع وتاريخه وحالته العامة •

وهكذا وبعد ان وضحت مصلحة الآثار السودانية هدف المسح الاثرى الذى تريده اشترطت على كل بعثة تنوى القيام بهذا النوع من العمل العلمى ان تجرى بحثا اثريا كاملا مرتبا فى المنطقـة التى ستمنح لهـا وان تسجل جميـع المخلفات الاثرية التى يتم العثور عليها بكل دقة وعناية • كما طلبت ان تشـمل السجلات الخاصة بكل موقـع اثرى أورنيكا معينا قامت بتحضـيره مصلحة الآثار تجد فيه البيانات المطلوبة التى يجب ان تتحصل عليها البعثة عن اى مكان بعد اجراء المسح الاثرى فيه بجانب الصـور الفوتوغرافية والخرط اللازمة • ثم كان من واجب كل بعثة ان تقدم تقريرا لمصلحة الآثار عن سير العمل بعد كل اسبوعين كما كان من واجبها ان تسـلم المصلحة نسخة ثانية من سجلات كـل موقع حسب الشروط التى سلف ذكرها بعد نهاية كل موسم مع تقرير موجز عن جميع الاعمال التى انجزت فى اثنـاء ذلك الموسم ليتم نشره فى كوش ، المجلة العلمية لمصلحة الآثار السودانية • ولكى تسهل على البعثات امرها فيما يتعلق بالمسح الاثرى كان على مصلحة الآثـار ان تستعد لمدها بالخـرط اللازمـة والصـور الجوية الضرورية •

ويأتى بعد هذا امر تنقيب المواقع المكتشفة والتى كانت معروفة من قبل• فقـد وضعت اللجنة الاستشارية التى كونتها حكومة جمهوريـة السـودان بالتضامن مع هيئة اليونسكو فى اجتماعها الذى انعقد فى الخرطوم عام ١٩٦٠ ، أسسا علمية واضحة تسير عليها البعثات الأجنبية فى انجـاز اعمـال التنقيب ، حتى يكون البحث علميا من جميع الاوجه ونضمن نجاح هذه العمليات ، لان عمليات التنقيب فى حقيقتها ما هى الا تحطيم وضـياع للشـواهد العلمية التى يمكن الاعتماد عليها فى كتابة التاريخ ان لم تجـد من العناية والدقـة القسط الاوفر • وعليه فقد وضح بما لا يـدع مجالا للبس ان الغـرض الرئيسى من

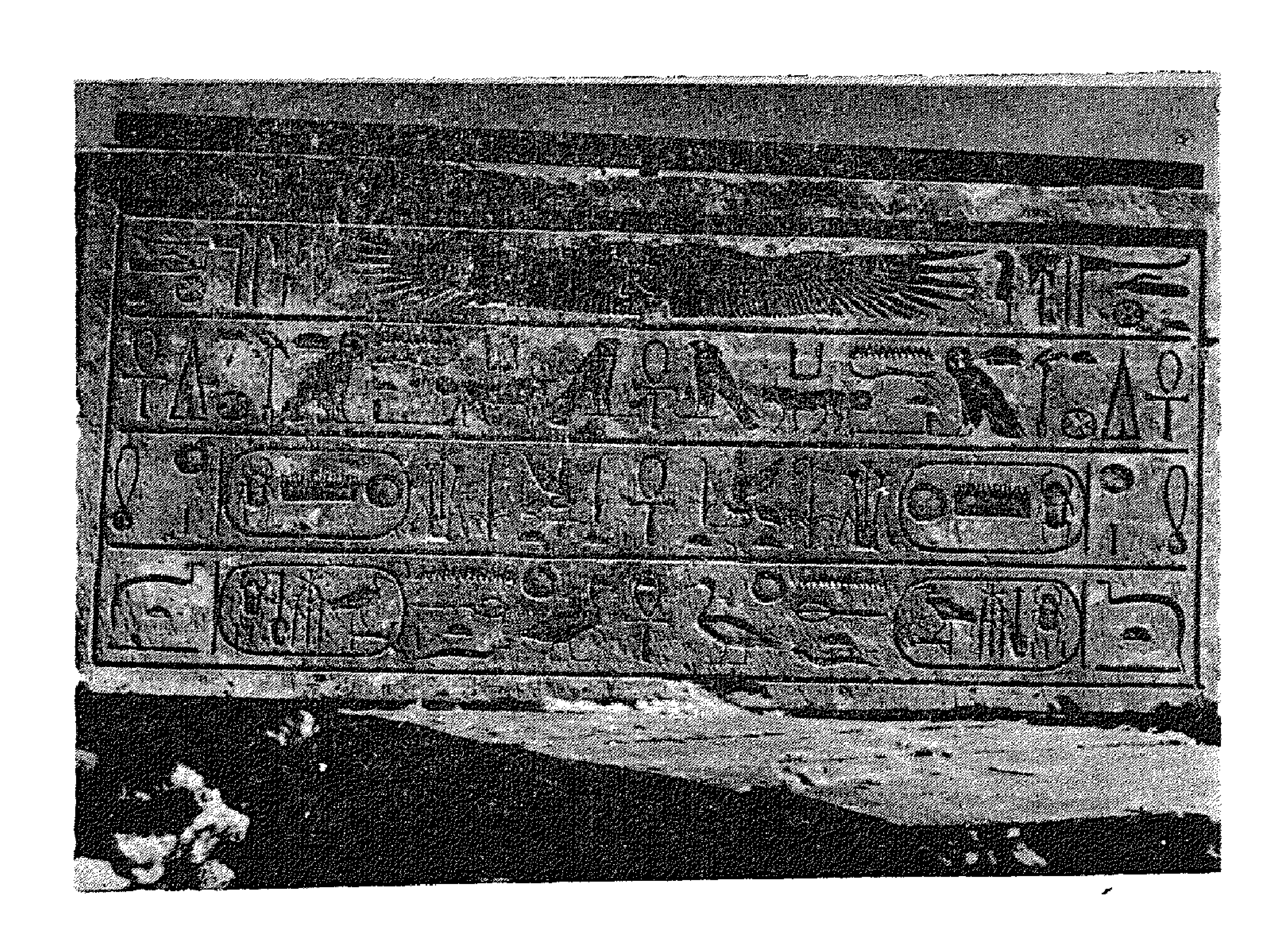


حلى من الحجر والعظم من عهد المجموعة الحضارية الاولى (٣١٠٠ ق.م) من شمـال بوهين

التنقيب هو الحصول على المعلومات التاريخية والعلمية والفنية الكاملة عن أى موقع اثرى تشمله رخصة التنقيب التى تمنحها مصلحة الآثار لاى هيئة من الهيئات العلمية ، قبل موعد طوفان السد العالى ، بشرط ان يكون النظام المتبع فى العمل هو نظام التنقيب الشامل المعزز بالتسجيل الكامل ، بما فيه التصوير الفوتوغرافى ، والخرط الدقيقة ، ورسم الطبقات والعناية بالكتابات الاثرية ، ومذكرات التنقيب ، وقوائم الاشياء الاثرية المكتشفة .

ولم يقتصر العمل الاثرى على هاتين الناحيتين ، ولكن كان من الضرورى اتمام العمل الاثرى بنقل وتدوين جميع الكتابات والنقوش التى على جدران المعابد والصخور ، حتى تشمل عمليات الانقاذ جميع النواحى التى تتعلق بالبحث الاثرى . فالمنطقة مليئة بكتابات لها اهمية تاريخية عظمى ، كما نجد على صخورها رسوما عديدة ، وصورا لا حصر لها من جميع العصور والعهود فى تاريخ بلادنا .

ويجدر بنا ان نذكر فى هذا المضمار ان مصلحة الآثار السودانية قد قامت فى عام ١٩٥٩ بالتصوير الجوى لكل المنطقة التى ستغمرها مياه السد العالى توطئة للبدء فى العمليات الاثرية . وهذا مما ساعدنا كثيرا فى تنظيم وتنفيذ المسح الاثرى فى محاولتنا لانقاذ الآثار . فقد تضمن المسح الجوى ثلاث عمليات تصويرية ، خدمت كل عملية منها غرضا معينا . فهناك صور جوية استخدمت اساسا فى تحضير الخرط اذ لم تكن هناك خرط مناسبة لهذه المنطقة من قبل . ولا شك ان وجود مثل هذه الخرط ضرورى ولازم لانجاز اى مسح اثرى فى اى مكان . كما اخذت صورة جوية أخرى خصيصا لاستعمالها والاستفادة منها فى عمليات البحث عن الآثار لانها فى بعض الاحيان تبين بكل وضوح بعض المواقع الاثرية ، كما انها كثيرا ما تظهر علامات توحى بوجود شىء ما فى بقعة معينة ، مما يستلزم التحقق منها اثناء سير عملية المسح الاثرى . اما المجموعة الثالثة من هذه الصور التى اخذت من ارتفاع منخفض



عتب باب من سمنة شرق عليه كتابة للملك تحتمس الثـالث

والتى كانت لبعض المواقع الاثرية المهمة ، فكانت ذات قيمة عظمى فى رسم خرط دقيقة للحفائر فى تلك المواقع كما انها ساعدت كثيرا فى تخطيط وتنظيم التنقيب فيها •

ولكى تكون الاستفادة من هذه الصور الجوية استفادة مجدية وفعالة فى نفس الوقت ، قمنا بعمل فهرس لها بجانب ملف دائم يحوى جميع الصور ووضحت مواقعها بالنمر على خريطة رئيسية وأخرى عبارة عن صورة جوية ضخمة لكل المنطقة عملت من عدة صور • فعندما يراد القيام بمسح اثرى فى منطقة خاصة ، يقوم عالم الآثار المسئول بمعاينة هاتين الخريطتين ، ويأخذ منها نمر الصور الجوية التى تشمل المنطقة التى يريد العمل فيها • وعندئذ يتحصل على الصور التى يحتاج اليها من الملف الدائم للصور فى لحظة واحدة • ثم يقوم بفحصها فحصا دقيقا بالمجساد (آى ستيروسكوب) قبل الذهاب الى ساحة العمل ، ويبين عليها الاماكن التى يرى انها تستحق عناية خاصة عند البحث ، كما يمكنه ان يلاحظ المعالم التى يمكن الاستدلال بها على الاماكن سالفة الذكر • فعندما يكتشف موقعا جديدا ، ما عليه الا ان يبين مكانه بعمل ثقب فى الصورة بدبوس ، ثم يرسم دائرة حول هذا الثقب على ظهر الصورة نفسها ويكتب بجانبها نمرة الموقع التى يمكن الاشارة بها الى المذكرات التى يدونها عن ذلك الموقع •

وهكذا يمكن توضيح وتسجيل المواقع الاثرية بسرعة فائقة وبصورة دائمة بدون ان تشوه الصورة الجوية • واذا عرضت هذه الصورة لاى ضوء فيمكنك ان ترى جميع المواقع الاثرية المبينة فيها بلمحة خاطفة • وعندما يعود عالم الآثار الى المكتب يقوم بنقل مكان المواقع الاثرية التى تم اكتشافها من الصور الجوية الى الخريطة الرئيسية ويعيد هذه الصور الى اماكنها فى الملف الدائم للرجوع اليها فى اى وقت آخر • وبجانب هذا الملف يوجد سجل بالمواقع يشمل جميع الصور الجوية التى يظهر فيها كل موقع اثرى •

كل هذه الاستعدادات قد اتخذت بواسطة المركز الذى انشأته مصلحة الآثار لتسجيل آثار النوبة السودانية فى وادى حلفا ليتم فيه تنظيم وتسجيل النتائج الاثرية التى تتوصل اليها مصلحة الآثار والهيئات الاجنبية التى كانت تعمل هناك • وتتضمن سجلات هذا المكتب بطاقات باوصاف كل موقع على حدة ، وصورا جوية كما جاء ذكرها من قبل وخريطة رئيسية تبين عليها جميع المواقع الاثرية المكتشفة عند اكتشافها مباشرة • وكان هذا المكتب مفتوحا لجميع البعثات التى كانت تعمل فى بلاد النوبة السودانية للرجوع اليه والاستعانة بالاشياء التى به لتسهيل اعمالها •

كيف ابتدات الحملة ؟

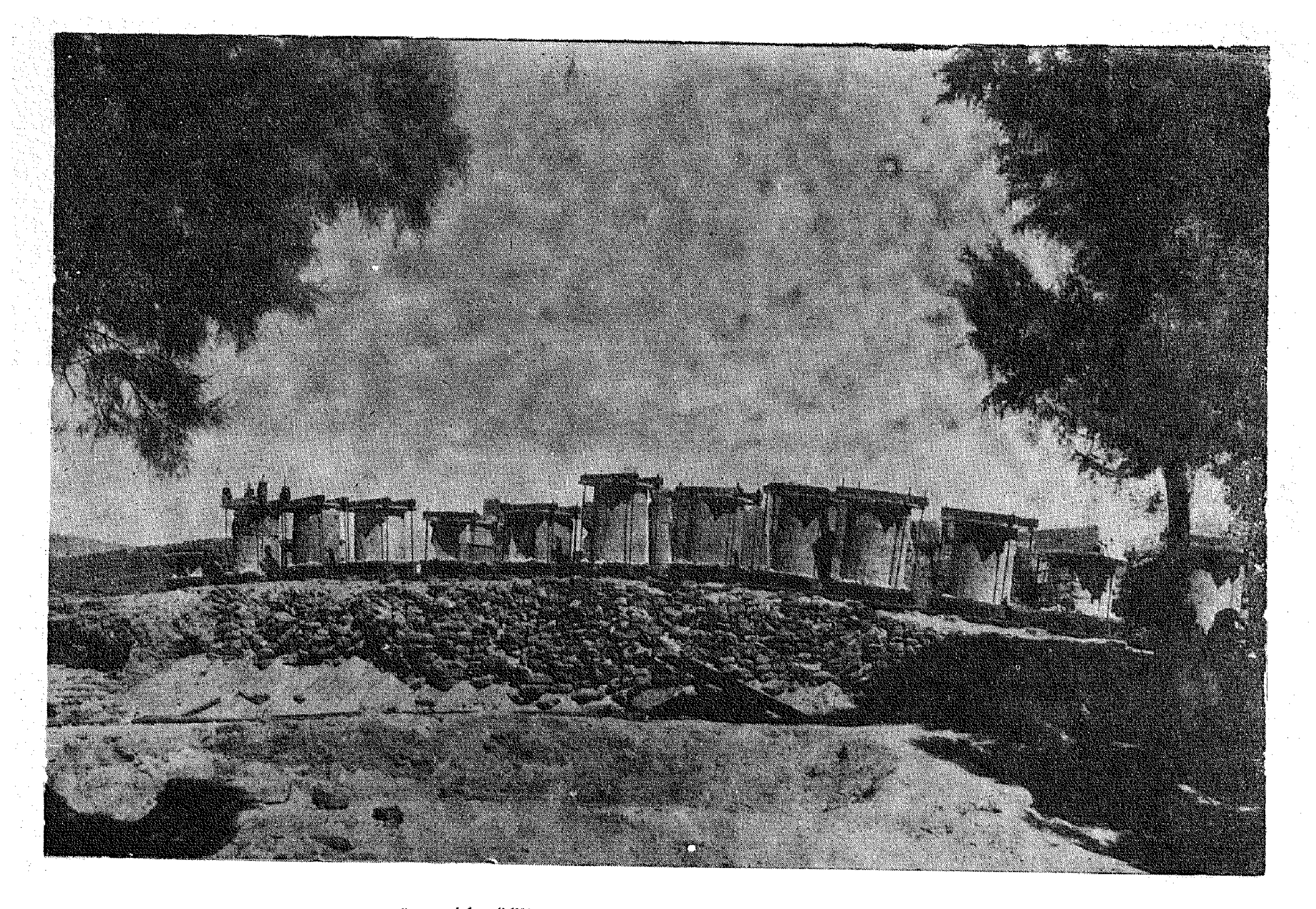
وعندما قررت الجمهورية العربية المتحدة انشاء السد العالى ، تنبهت حكومة السودان للخطر الذى يحيق بآثار بلاد النوبة السودانية التى تعتبر بكرا فى هذا الميدان من ميادين العلم والمعرفة • فما كان منها الا ان تدق ناقوس الخطر وتدعو الامم فى جميع انحاء المعمورة بان تمد للسودان يد العون والمساعدة ولاجتناب الكارثة بانقاذ آثار بلاد النوبة • لان هذا فوق طاقة السودان المالية والفنية من ناحية ، ولان انقاذ هذا التراث الخالد واجب انسانى قبل ان يكون واجبا وطنيا يخص السودان وحده •

وعلى هذا فقد شهدت الاعوام التى مضت بعد اعلان قيام السد نشاطا واضحا واهتماما ملحوظا من قبل حكومة السودان والهيئات الدولية لانقاذ آثار بلاد النوبة السودانية فى المنطقة التى ستغمرها مياه السد العالى • فقد اوقفت مصلحة الآثار السودانية جميع العمليات الاثرية فى جميع انحاء السودان الأخرى ووجهت كل همها الى هذه البقعة ، ولم تأل جهدا فى الدعوة لهذه الحملة ولم تدخر وسعا فى سبيل انجاحها على اكمل وجه بالرغم من صغر حجمها وحداثة عهدها وامكانياتها المحدودة •

ففى الرابع من ديسمبر ١٩٥٨ اصدر المجلس التنفيذى لمنظمة اليونسكو قرارا للقيام بحملة عالمية موحدة لانقاذ آثار النوبة فى السودان والجمهورية العربية المتحدة • وكان ذلك استجابة للرغبة المشتركة بين الحكومتين ونجحت المنظمة فى تكوين لجنة اعضاؤها من العلماء ورجال المال العالميين لتنظيم الحملة للحصول على المعونات المالية اللازمة ، والخدمات والخبراء • وقد تفضل جلالة الملك جوستاف السادس ملك السويد مشكورا بقبول منصب الرئاسة للجنة الامناء • هذا وقد ضمت هذه اللجنة عددا من رؤساء وملوك الدول المختلفة • وبعد ذلك تم تعيين الامير صدر الدين اغاخان مستشارا خاصا لمدير عام منظمة اليونسكو فى كل ما يتعلق بهذه الحملة • وقد تمكن سيادته من زيارة السودان لبضعة ايام فى عام ١٩٦٠ ونزل ضيفا على حكومة السودان، تمكن خلالها من الاتصال بالمسئولين وزيارة بلاد النوبة السودانية •

هذا وقد اقيم حفل فى المركز العام لمنظمة اليونسكو بباريس فى اليوم الثامن من مارس ١٩٦٠ بمناسبة اعلان النداء العالمى للاسهام فى حملة انقاذ آثار النوبة • واشترك فى الحفل جميع الدول الاعضاء فى اليونسكو ، كما ضم جمعا غفيرا من علية القوم ورؤساء البعثات الدبلوماسية فى باريس • وتصدر الحفل وزير الثقافة الفرنسى ومندوبا جمهوريتى السودان والعربية المتحدة ، ومدير عام المنظمة ومندوب ملك السويد • وقد تلا فى هذا الاجتماع وزير المعارف السودانية رسالة رئيس حكومة السودان •

اما داخل السودان فقد ابتدأت الحملة بتنظيم يوم للآثار فى العاصمة السودانية تحت اشراف وزارة المعارف • فقد بدأ اليوم فى صباح يوم السبت الموافق الحادى والعشرين من مايو ١٩٦٠ واستمر يوما آخر طافت فيه العربات بالمدن الثلاث تحمل لافتات الدعاية للآثار • واقامت وزارة المعارف حفلا حضره رئيس الدولة والوزراء كما دعى اليه ممثلو السلك الدبلوماسى الاجنبى بالخرطوم وكبار الشخصيات والاعيان •



عملية فك ونقـل حجارة معبد بوهين الذى بنته الملكة حاتشبسوت

وبهذه المناسبة اصــدرت وزارة المعارف كتيبا باللغة العربية والانجليزية لتعريف المواطنين بآثار النوبة السودانية وكتيبا آخر باللغة الانجليزية يوضــح للعالم اهمية بلاد النوبة السودانية من الناحية التاريخية • وكان الغرض من يوم الآثار جمع التبرعات للحفاظ على هذه الآثار ولفت نظر الناس فى السودان الى اهميتها وضرورة انقاذها من الدمار المحتوم • وقد قامت بهذه الحملة المعلمات واعضاء فــرق المرشدات والهلال الاحمر والكشافة وطلبة وطالبات المدارس •

وبعد هذا كونت حكومة السودان بالتعاون مــع منظمة اليونسكو لجنة استشارية من خبراء الآثــار العالميين لانقاذ آثــار النوبة السودانية ، وقــد اجتمعت هذه اللجنة بالخرطوم ما بين الثالث والعاشر مــن اكتوبر ١٩٦٠ وكان على رأسها مساعد المدير العام لليونسكو • هــذا وقــد قام الضيوف بزيارة المناطق الاثرية فى وادى حلفا ، ووضعوا قائمة الاسبقية فى العمل ، كما ناقشوا المشكلة من جميع نواحيها ووضعوا أسسا تسير عليها البعثات فى انجاز اعمالها لكى نصل الى الغاية المنشودة من هذا العمل العظيم • هذا وقد اعد المجتمعون تقريرا عــن اجتماعاتهم وقامــت منظمــة اليونسكو بمهمة طبعــه وتوزيعــه بعــد موافقــة وزارة المعــارف •

وقد عقدت هــذه اللجنة الاستشارية اجتماعها الثانى فى وادى حلفــا فى فبراير ١٩٦٢ وكان على رأس الاجتماع مدير وزارة المعارف ومدير مكتب انقاذ آثار النوبة فى منظمة اليونسكو بالنيابة عن مدير عــام الهيئة • وقــد درست اللجنة الموقف العام بعد اجتماعها الأول على ضوء تقرير رفعــه مدير مصلحة الآثار السودانية عن سير العمــل فيما يختص بحملة الانقــاذ • وكان الغرض الرئيسى من هذا الاجتماع هو مناقشة موضوع نقل المعابد من وادى حلفا الى الخرطوم واعادة تشييدها هناك بالاضافة الى مشكلة انقــاذ الصور التى على جدران الكنائس والمقابر والرسوم المحفورة على الصخور وذلك بهدف وضع خطة مفصلة لنقل هذه المعابد والصور وايجاد انجع الوسائل وافضلها للحفاظ

عليها عندما يعاد تشييدها فى الموقع الجديد • وقد تناول الحديث ضرورة عمل نماذج لبعض المبانى الاثرية التى لا يمكن انقاذها لانها من اللبن • وزيادة على هذا فقد بحث المجتمعون موضوع انشاء مكتب تسجيل للآثار فى الخرطـوم على غــرار مكتب القاهـــرة •

ولم يقتصر عمل اللجنة فى هذا الاجتماع على الامور التى ذكرتها آنفـا فحسب بل اتخذ المجتمعون على اساس تقرير مدير الآثار قرارات تناولت منهاج العمل الأثرى واساسه ، كما ناقشت اللجنة المهام التى تقع على عاتق كـل بعثة تعمل فى السودان ، والتزاماتها نحو انجاح هذه المهام ونشر اعمالها بعد الانتهاء منها حسب نصوص الاتفاقية التى بينها وبين مصلحة الآثار • وبالاضـافة الى كل هذا فقد اشارت اللجنة الى ضرورة ايجاد خبـير فى عـلم التاريخ الطبيعى للاجناس البشرية لتستعين البعثات بخبرته وتستفيد مـن خدماته ، كما نوقش موضــوع الاستفادة من اختبارات الكربون المشع واختتمت اللجنـة اعمالها بدراسة ما تبقى من العمل والسبيل الى انجازه فى كل المنطقة المهددة •

عمليات الانقـاذ والبعثات الاجنبية :

لا شك ان أهم واعظم عمل قامت به مصلحة الآثار السودانية فى تاريخها هو الحملة التى شنتها لانقاذ آثار النوبة من ميـاه السد العالى • فنتيجة للنداء الذى وجهته حكومة السودان لجميع دول العالم بالتعاون مع منظمة اليونسكو تقدمت كثير مـن الهيئات العلمية الأجنبية للمشاركة فى انقـاذ آثـار النوبة السودانية • فباشرت اول الأمر ست بعثات اعمالها فى عـام ١٩٦٠ • أما فيما بعد فقد بلغ عدد هذه الهيئات اثنين وعشرين من سبعة عشرة دولة • وهذا مما ادى الى اكتشافات عظيمة تلقى الضوء على كثير من المسائل التى كان يكتنفها الغموض فى تاريخ السودان القديم •

وتنقسم الأعمال التي تم انجازها فى اثناء حملة الانقاذ هذه الى قسمين : قسم قامت به مصلحة الآثار وآخر تكفلت به مشكورة الهيئات الأجنبية تحت ارشاد ومراقبة مصلحة الآثار السودانية •

أعمال مصلحة الآثار :

١ ـ المسح الجوى :

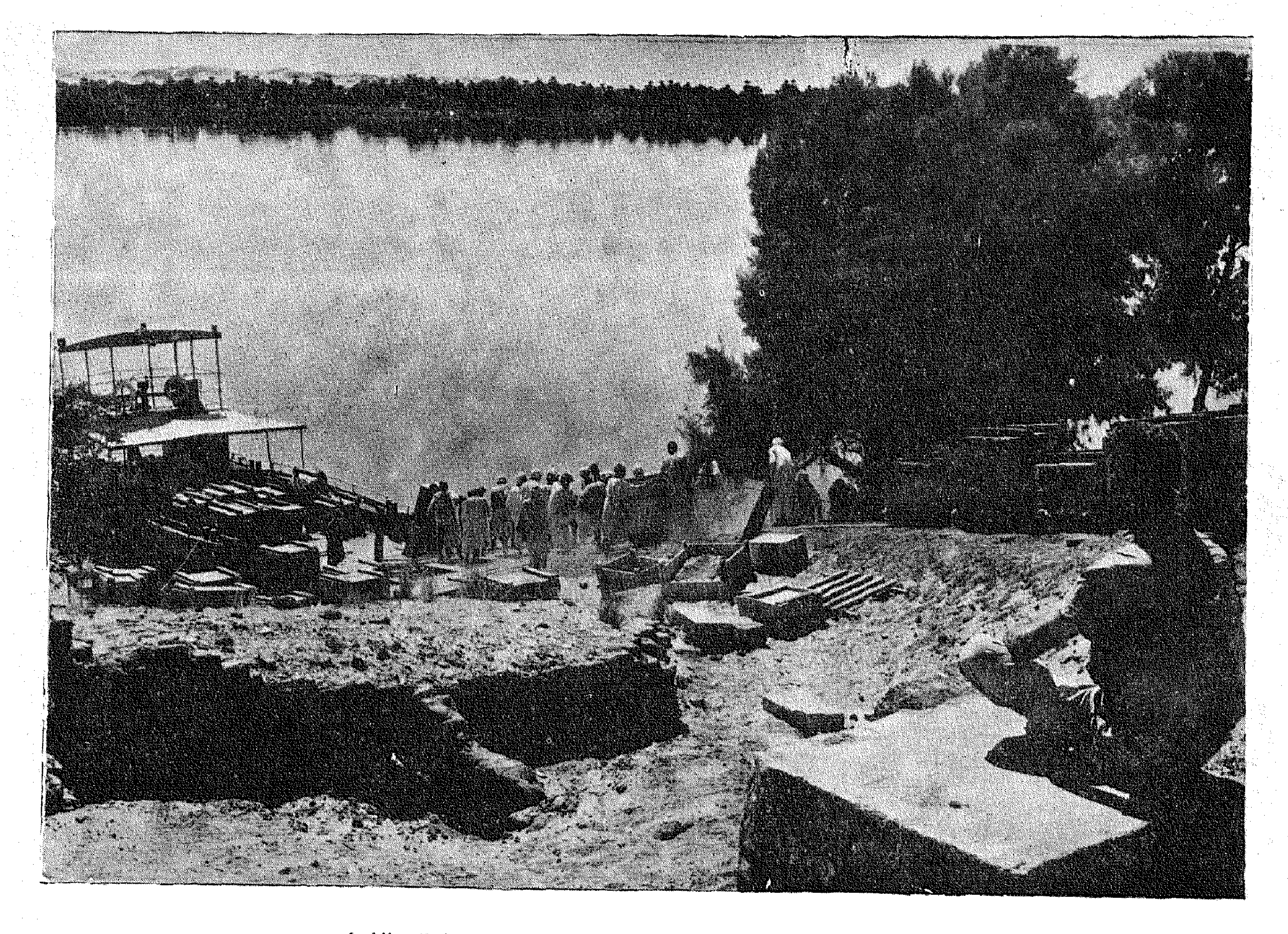
قامت مصلحة الآثار فى نوفمبر ١٩٥٩ بالتصوير الجوى لكل المنطقة التى ستغمرها مياه السد العالى •

٢ ـ المسح الأثرى :

بدأت مصلحة الآثار فى الشهور الاخيرة من عام ١٩٥٩ تستعد للقيام بالمسح الأثرى على الضفة الغربية من النيل فى المنطقة المهددة بالغرق مباشرة بين فرس وجمى • وفى يناير عام ١٩٦٠ ابتدأت المصلحة عمليات المسح بمساعدة خبراء من هيئة اليونسكو • وقد استمر العمل فى هذه المنطقة الى مايو عام ١٩٦٢ •

وكانت نتيجة هذا المسح الأثرى اكتشاف عدة مئات من المواقع الأثرية فى مسافة تبلغ ٦٠ كيلو مترا فقط • وأثناء هذا استحسنت المصلحة اجراء الفحص الكامل لجميع المواقع التى لم يكن من المتوقع ان تعمل بها البعثات الاجنبية •

ثم بعد هذا استمرت المصلحة فى نفس العمل جنوب جمى على الضفتين فى جميع المناطق التى لم تتقدم البعثات الاجنبية بالعمل فيها • فانتهت المصلحة من اعمال المسح والتنقيب فى كل المنطقة فى شهر مايو ١٩٦٩ •



نقل حجارة معبد بوهين من البر الغربي الى وادى حلفا لنقلها الى الخرطوم ..

ولا مجال هنا للحديث عن الآثار التى تم اكتشافها نتيجة لنشـــاط مصلحة الآثـــار فقد تم العثور على تحف أثرية قيمة لا حصر لها ستسعد بها متاحف السودان فى المستقبل •

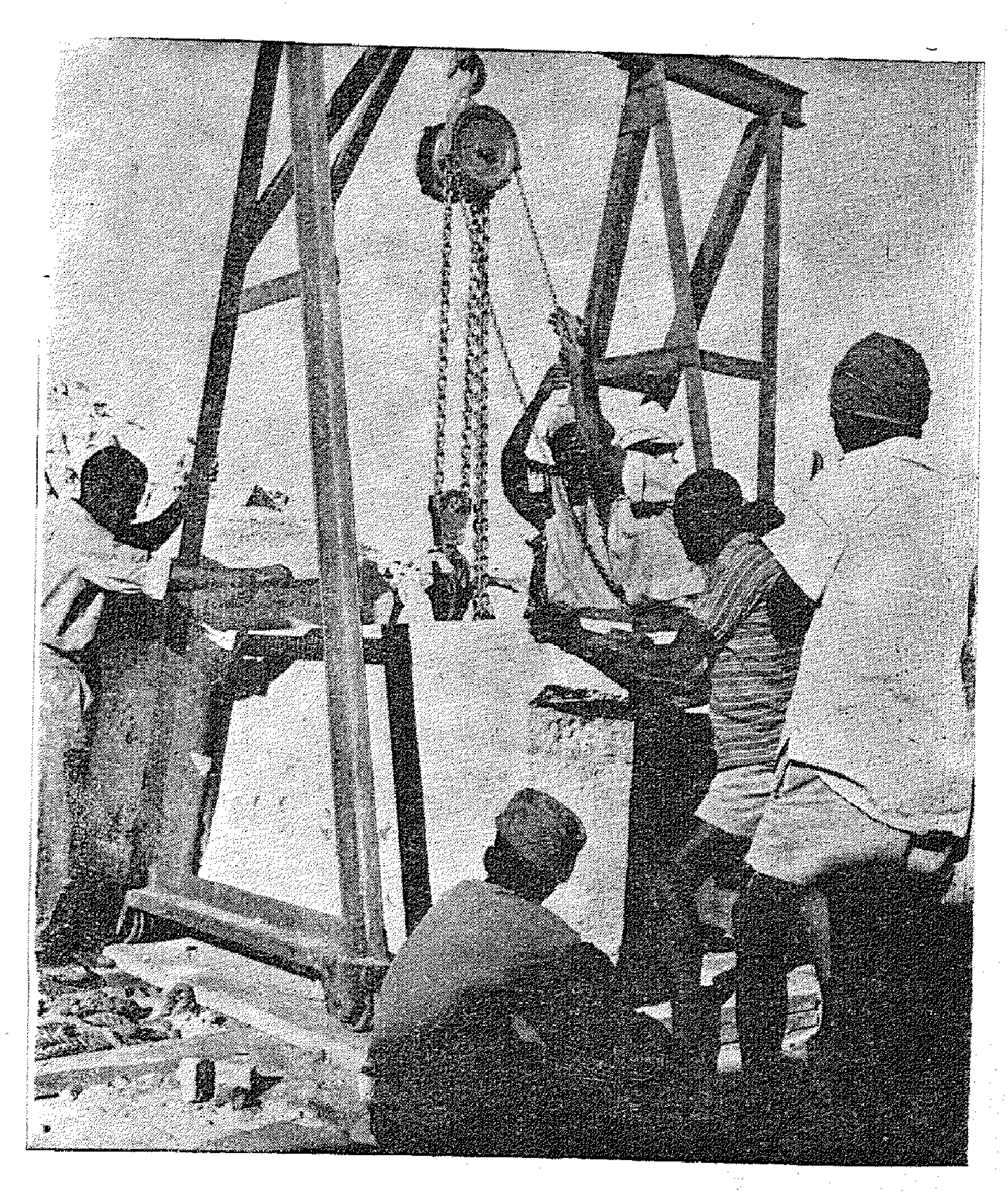
هذا ولم ينحصر نشاط مصلحة الآثار السودانية فيما يتعلق بالكشف الأثرى فى بلاد النوبة فى اجراء المسح الأثرى فحسب بل شـــمل التنقيب على نطاق واسع فى بعض المواقع الأثرية الهامة • ومن هـــذه المواقع : ــ

أ ــ شمال بوهين :

اكتشفت مصلحة الآثار جبانات هامة شـــمال مدينة بوهين القديمة يرجـــع تاريخها الى عهد المجموعة الحضـــارية الأولى • والجدير بالذكر أن مقابر هذه الجبانات قد وجـــدت بحالة جيدة مما أدى الى الحصـــول على أشياء أثرية كثـــيرة بالاضـــافة الى اكتشاف ما يدل على وجود علاقة بين حضارة هذه المجموعة وبين ما يسميه الدكتور آركل بحضـــارة الخرطـــوم فى العصر الحجرى الحديث • هـــذا وقـــد انتهت مصـــلحة الآثـــار من تنقيب هذا الموقـــع عـــــام ١٩٦٢ •

ب ــ كسنارتى :

تقع هذه الجزيرة فى منطقة الشلال الثانى على بعد ٢٥ كيلو مترا جنوب مدينة وادى حلفا • فهنا قامت مصلحة الآثار بتنقيب موقع أثرى هام يرجـــع تاريخه الى العصر المروى والمجموعـــة الحضارية (X) والعهد المسيحى من الثامن عشر من ديسمبر ١٩٦٢ الى الثانى من فبراير عام ١٩٦٣ •



نقل مقبرة الامير جحوتيحتب من ديره

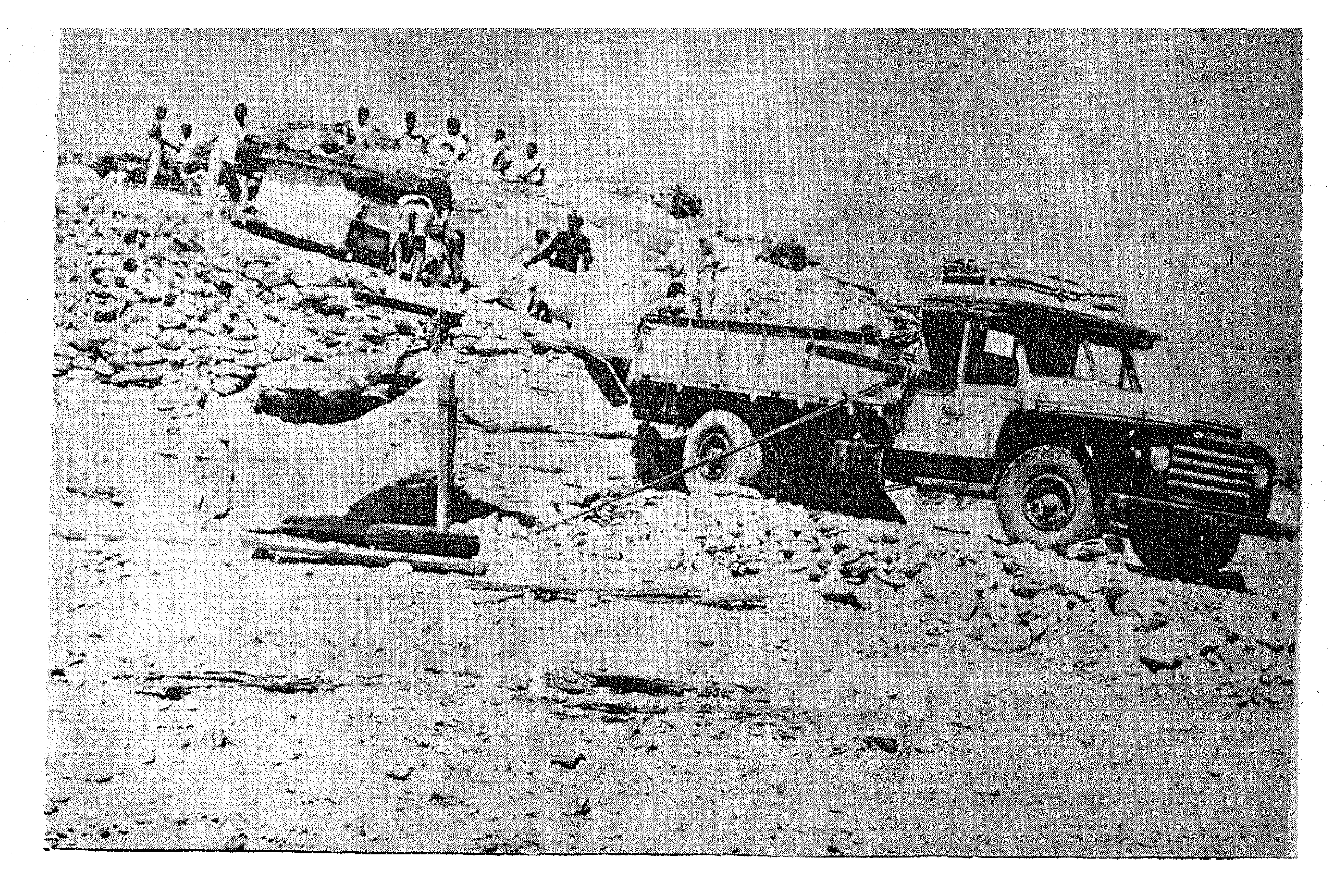
ج ـ ميناوتى :

تقع هذه الجزيرة على بعد عشرة كيلو مترات جنوب وادى حلفا عند بداية الشلال الثانى • وكانت تعتبر من أهم المواقع المسيحية فى كل بلاد النوبة • وقد اثبتت الحفائر التى قامت بها مصلحة الآثار فيها صحة هذا الزعم • اذ وجدت فى هذه الجزيرة آثار هامة يمتد تاريخها من العصر المروى الى العصر الاسلامى • والجدير بالذكر ان هذه الآثار وجدت بعضها فوق بعض ، الأمر الذى جعلنا نكتب تاريخ التحول من العصر المروى الى حضارة المجموعة الثقافية (X) ومنها الى العصر المسيحى ومن الأخير الى ظهور الاسلام بين النوبيين • وتكمن الاهمية العظمى لهذه الحفائر فى انها ستساعدنا فى كتابة تاريخ النوبة المسيحية بوضوح تام • اما من ناحية التحف الاثرية فكانت النتيجة عظيمة الغاية فقد تم اكتشاف ١٢٤١ قطعة من بينها أوانى فخارية تعتبر من اجمل ما وجد فى بلاد النوبة الى هذا التاريخ •

هذا وقد تم اكتشاف كنيسة بها كتابات كثيرة باللغة النوبية كما وجدت على جدرانها صور ورسوم • وقد استمر العمل فى هذه الجزيرة من فبراير ١٩٦٣ الى يونيو ١٩٦٤ واستخدم فيه ٢٥٠ عاملا •

مسح أثرى تمهيدى :

عندما تأكدت مصلحة الآثار من أن كل شىء على ما يرام فيما يتعلق بانقاذ الآثار فى المنطقة المهددة مباشرة وجهت همها الى المنطقة التى ستغمر عند اتمام المرحلة الثانية والثالثة للسد العالى • وهذه المنطقة هى التى تمتد من



قطع ونقل وثيقة تاريخية هامة من جبل شيخ سليمان

جمى الى دال (حوالى ١٢٠ ك ٠ م) وعليه فقد قررت القيام بعمل استكشاف سريع بغرض تكوين فكرة اولية عن آثار تلك المنطقة ٠ وحدث هذا بالفعل فى موسم عـام ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ ، وكانت النتيجة اكتشـاف ٢٤٠ موقعـا أثريـا مـن جميـع العصـور التاريخية ٠

نقـل المعابـد :

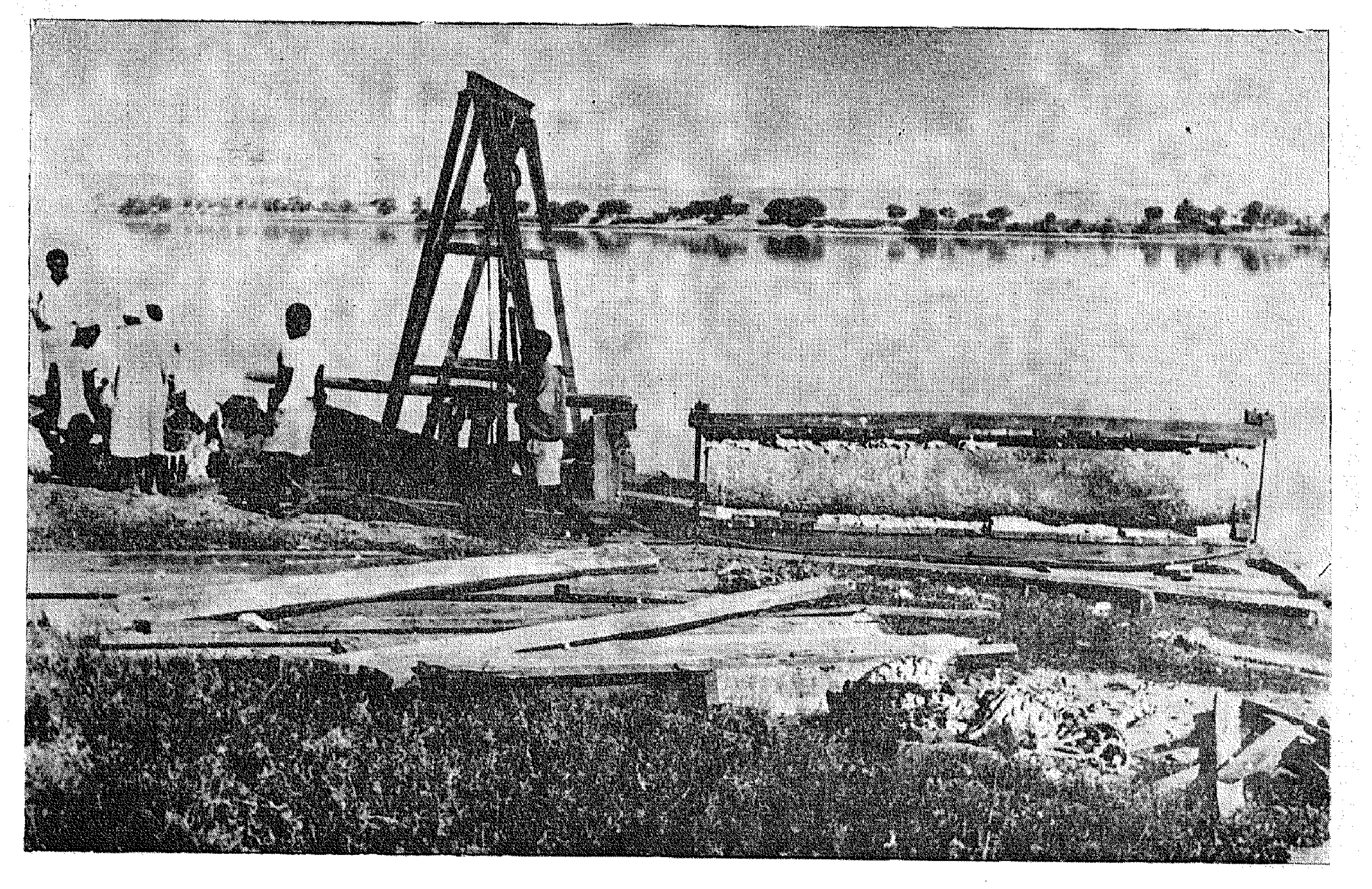
هدد بناء السد العالى أربعة معابد ومقبرة هامـة بالزوال فى بلاد النوبة السودانية ٠ وعلى هذا فقد قررت حكومة السودان نقلها الى الخرطوم واعادة بنائها هناك فى ساحة المتحف القومى ، وقبل البدء فى نقلها اتخـذت الترتيبات اللازمة لتقويتها بالطرق الكيماوية كما درست وسائل المحافظة عليها من العوامل الجوية فى الخرطوم هذا وقد تمت جميع هذه الأعمال بمساعدة مهندس معمارى مـن جمهوريـة المانيـا الديمقراطيـة يدعى المستر هنكل ٠ والمعابـد التى نحن بصـــددها الآن هى : ــ

١ ــ معبد عكشة :

تقرر نقل جزء من هذا المعبد الذى شيده فرعون مصر رمسيس الثانى وذلك لانه كان متصدعا ، فقد ابتدأ العمـل فى فك حجارة هذا المعبد فى الخامس من يناير وانتهى فى الحادى والثلاثين من نفس الشهر فى عـام ١٩٦٣ ٠ وفى يوم ٢٤ مارس نقلت الحجارة الى وادى حلفا بالنيل ومنها الى الخرطوم بالسكة الحديدية ٠ هذا وقد اعيد تشييد ما نقل من هذا المعبد فى الخرطوم فى عام ١٩٦٨ ٠

٢ ــ معبد بوهين :

كان من أكبر المشاكل التى واجهت مصلحة الآثار السودانية نقـل معبد بوهين الذى بنى فى عهـد الملكة المصرية حاتشبسوت وتحوتمس



نقل أعمدة من كنيسة فرس

الثالث • فقد كان اكبر معبد فى بلاد النوبة السـودانية المهددة بميـاه السـد العالى • واستغرق نقله وقتا طويلا كما استلزم مجهودا جبـارا مـن مصـلحة الآثـار •

فقد ابتدأ العمل فى فك المعبد فى اليـوم العشرين من يناير وانتهى بحمد الله فى ابريل ١٩٦٣ • وقد شملت عملية النقـل فك حجارة المعبد ونقلها الى شاطىء النيل فى البر الغربى ومن هناك الى ميناء وادى حلفـا بالبواخر النيلية ، ثم شحنت الحجارة فى عربات سكة حديد مفتوحة الى الخرطـوم ووصلت هناك بسـلام وتم حفظها فى المتحف القومى الى ان تتم اعادة تشييد المعبد هناك • هذا وابتدأ العمـل فى اعادة بنائه فى عام ١٩٦٧ وقد تم ذلك بنجاح عظيم فى اوائل عام ١٩٦٩ •

٣ ـ معبد سمنة غرب وسمنة شرق :

تم نقل هذين المعبدين فى عام ١٩٦٤ ما بين شـهر يناير • ويوليو • فقد نقلت حجارتهما من سمنا الى وادى حلفا بالعربات ومن هناك بالسكة الحديدية الى الخرطوم • والجـدير بالذكر ان المعبدين قـد اعيد الآن تشييدهما بنجاح عظيم فى ساحة المتحف القومى كما اتخذت الاجراءات اللازمة لسلامتهما وكان كل هذا ما بين عام ١٩٦٦ و ١٩٦٨ •

هذا وقد نقلت مصلحة الآثار اشياء أخرى الى الخرطـوم بجانب المعابد التى سلف ذكرها منهـا :

١ ـ مقبرة الامير جحوتيحوتب

هذه مقبرة كانت منحوتة فى جبل بقرية دبيرة شرق على بعـد ٢٢ كيلو مترا شمال وادى حلفا ، وكانت لامير تلك المنطقـة والذى عاش فى عصر الملكة حاتشبسوت والملك تحوتمس الثالث • وقـد وجـدت على

جدران هذه المقبرة كتابات وصور مهمة كان لابد من انقاذها من الدمار ٠ وتمكنت مصلحة الآثار من نقل هذه المقبرة الى الخرطوم فى عام ١٩٦٣ ، وتم تخزين اجزائها فى المتحف الجديد الى ان اعيـد بناؤها فى ساحة المتحف فى اواخر عـام ١٩٧٠ ٠

٢ ـ بوهـين :

فى ديسمبر ١٩٦٣ تم نقل بعض القطع من معبد ايزيس الذى بناه امنوفيس الثانى فى بوهـين ٠

٣ ـ جبل شيخ سليمان :

ما بين التاسع والرابع والعشرين من ديسمبر ١٩٦٣ قامت مصلحة الآثار بقطع الوثيقة التاريخية الهامة التى نحتت على صخرة كبيرة فى جبل شيخ سليمان على بعد أميال قليلة جنوب بوهين ٠ وهذه الوثيقة تشير الى ان قدماء المصريين قاموا بفتح بلاد النوبـة فى عهد الملك دجر فى أيام الاسرة المصرية الأولى وقد فصلت هـذه الوثيقة مـن الصخرة فى قطعة واحدة وتم نقلها الى الخرطوم ٠ هذا وقد تمكنت مصلحة الآثـار مـن تجهيزها للعرض فى ساحة المتحف القومى فى شهر ابريل ١٩٦٩ ٠

٤ ـ ابو صـير :

فى يناير ١٩٦٤ نجحت مصلحة الآثار فى قطع كتل من الصخور عليها كتابات فرعونية من جبل « ابوصير » بمنطقة الشلال الثانى ٠

٥ ـ فـرس :

فى يناير ١٩٦٤ فصلت لوحة نائب الملك المصرى ستاو من الصخرة التى نحتت عليها فى فرس كما تم فى نفس الوقت نقل ٥ اعمدة ضخمة من

القرانيت وعدد مـن رؤوس الاعمدة الضخمة واشياء أخرى من الحجر الرملى • هذا وقد بنيت الاعمدة فى ساحة المتحف القومى بالخرطوم فى نوفمبر ١٩٦٤ كما جهزت لوحة ستاو للعرض فى نفس الساحة •

والجدير بالذكر ان مصلحة الآثار قد قامت فى عام ١٩٦٨ بنقل كتابات ونقوش صخرية أخرى تقرر نقلها من المنطقة الواقعة بين سمنة ودال وذلك بقطعها من الصخور •

البعثات الاجنبية :

١ ـ البعثة البولندية :

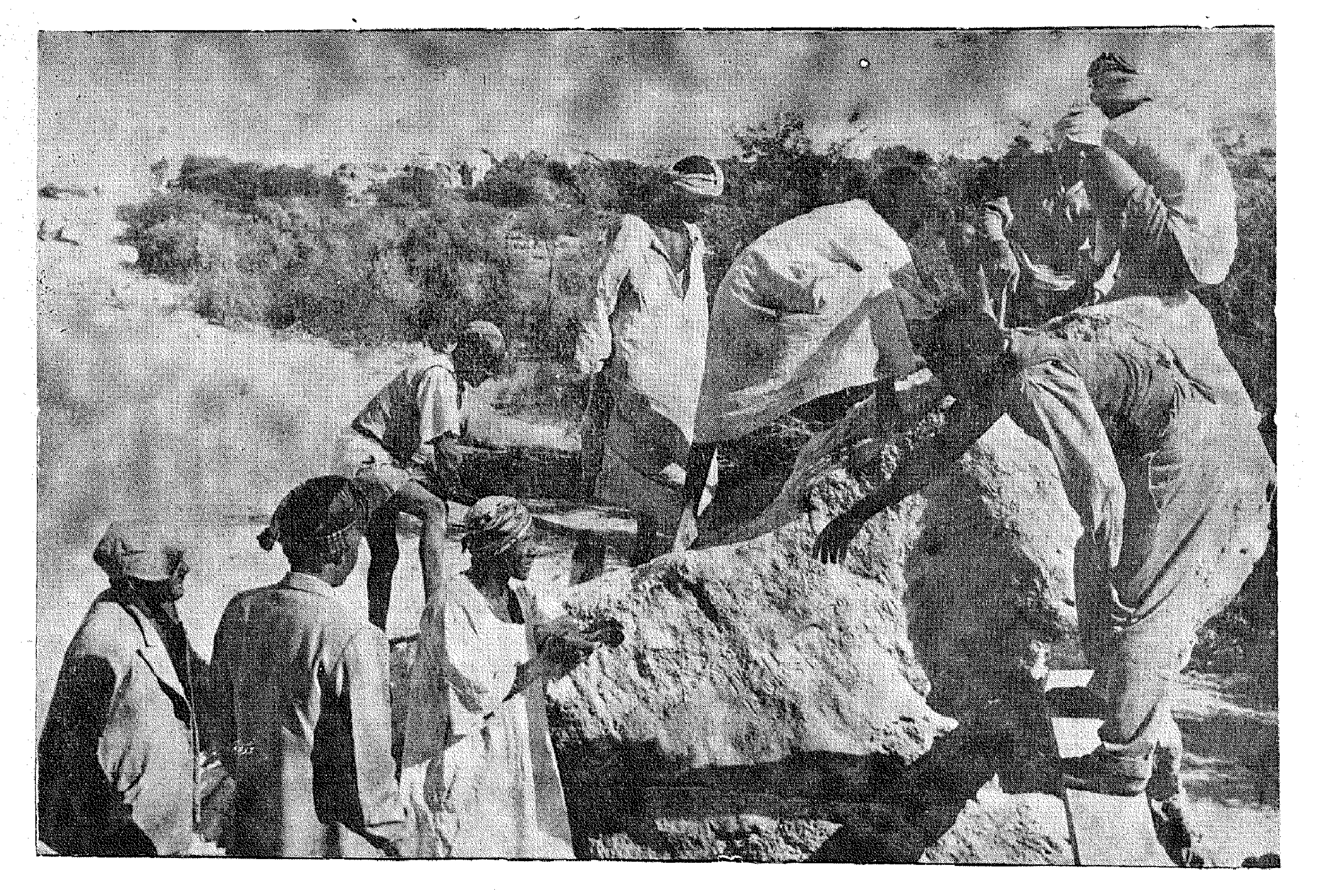
فى عام ١٩٦٠ منحت مصلحة الآثار تصديقا لاجراء حفائر أثرية فى فرس على الحدود الشمالية لجمهورية السودان لبعثة بولندية بقيادة البروفسور ك • ميكالوفسكى • فقد ابتدأت البعثة أعمال التنقيب فى ذلك الموقع الهام فى اليوم الثانى من فبراير ١٩٦١ واستمرت تنقب هناك الى ابريل عام ١٩٦٤ •

والجدير بالذكر ان اعمال هذه البعثة قد أدت الى اكتشاف كنيسة رائعة وجدت على جدرانها صور جميلة لم يكتشف مثلها من قبل • هذا وقد تمكنت البعثة من نقل هذه الصور بنجاح تام وتجرى الآن اعمال الصيانة على قدم وساق على هذه الصور فى معامل الخرطوم ووارسو •

وبجانب هذه الصور اكتشفت البعثة تحف أثرية قيمة ووثائق تاريخية مهمة تلقى كثيرا من الضوء على تاريخ الحضارة فى بلاد النوبة فى العصر المسيحى •

٢ ـ البعثة الفرنسية ـ الأرجنتينية :

قامت بعثة فرنسية بقيادة البروفسور ج • فيركوتير بالتضامن مع بعثة



قطع ونقل كتابة تاريخية من جبل أبوصير بمنطقة الشلال الثـانى

ارجنتينية بقيادة البروفسور أ • روزنفازا بالتنقيب فى منطقة عكشة على بعـد ٢٠ كيلو مترا شمال وادى حلفا على الضفة الغربية للنيل • ابتدأت هذه البعثة التنقيب فى ١٠ يناير ١٩٦٠ وانتهت فى عام ١٩٦٢ •

وقد شمل نشاط هذه البعثة اكتشاف المدينـة التى كان بداخلها معبـد رمسيس الثانى وجبانات عدة من جميع العصـور التاريخية التى مـرت على السودان • هذا وقامت البعثة بالتنقيب فى مواقـع أثرية من العصر الحجرى • ونتيجة لهذه الحفائر فى عكشة فقد تم العثور على تحف أثرية قيمة •

٣ ــ بعثة جامعة غانا :

أعطت مصلحة الآثار تصديقا لجامعة غانا بقيادة البروفسور ب•ل• شنى بالعمل فى منطقة دبيرة غرب على بعد ١٤ ميلا شمال وادى حلفا • فباشرت البعثة أعمالها لمـدة ثلاثة مواسم من ٢١ أكتوبر ١٩٦١ الى ٢٠ مارس ١٩٦٤ •

ونجد فى المنطقة التى أعطيت لهذه البعثة والتى تمتد على النيل مسافة ميلين مواقع أثرية متعـددة من المجموعة الحضارية الثالثة حتى العصـور الوسطى • ومن الاكتشافات المهمة فى دبيرة غرب تلك المـدينة الكبيرة التى يرجع تاريخها الى العصر المسيحى كما تم العمل فى عدد من الكنائس والمبانى الاخرى فى ذلك المـوقع • هذا وقد قامت هـذه البعثة بالتنقيب فى بعض الجبانات الاثرية داخل المنطقة التى منحت لها للعمل فيها •

٤ ــ البعثة الاسبانية :

من البعثات الاجنبية التى ساعدت مصلحة الآثار السودانية بعثة أسبانية بقيادة البروفسور الماقرو • فقد نالت هذه البعثة تصـديقا بالعمـل فى بـلاد النوبة السودانية فى عدد من المواقع من فبراير ١٩٦١ الى ٣ فبراير ١٩٦٤ • وفيما يلى موجز لما قامت به البعثة الاسبانية : ــ



السيدة مريم العذراء تحمل المسيح الطفل وتحمى الملكة النــوبية الام وتــدعى مارتا

أ ــ أرقــين :

على بعد ٧ كـ • م شمال وادى حلفا على الضفة الغربية تقــع قرية أرقين ، وهنا قامت البعثة الاسبانية بالتنقيب فى عدد كبير مــن الجبانات مــن العصر الفرعونى وعصر المجموعــة الحضارية الثالثة والمجموعة الحضارية (X) والعصر المروى •

ب ــ جزيرة كزريكو :

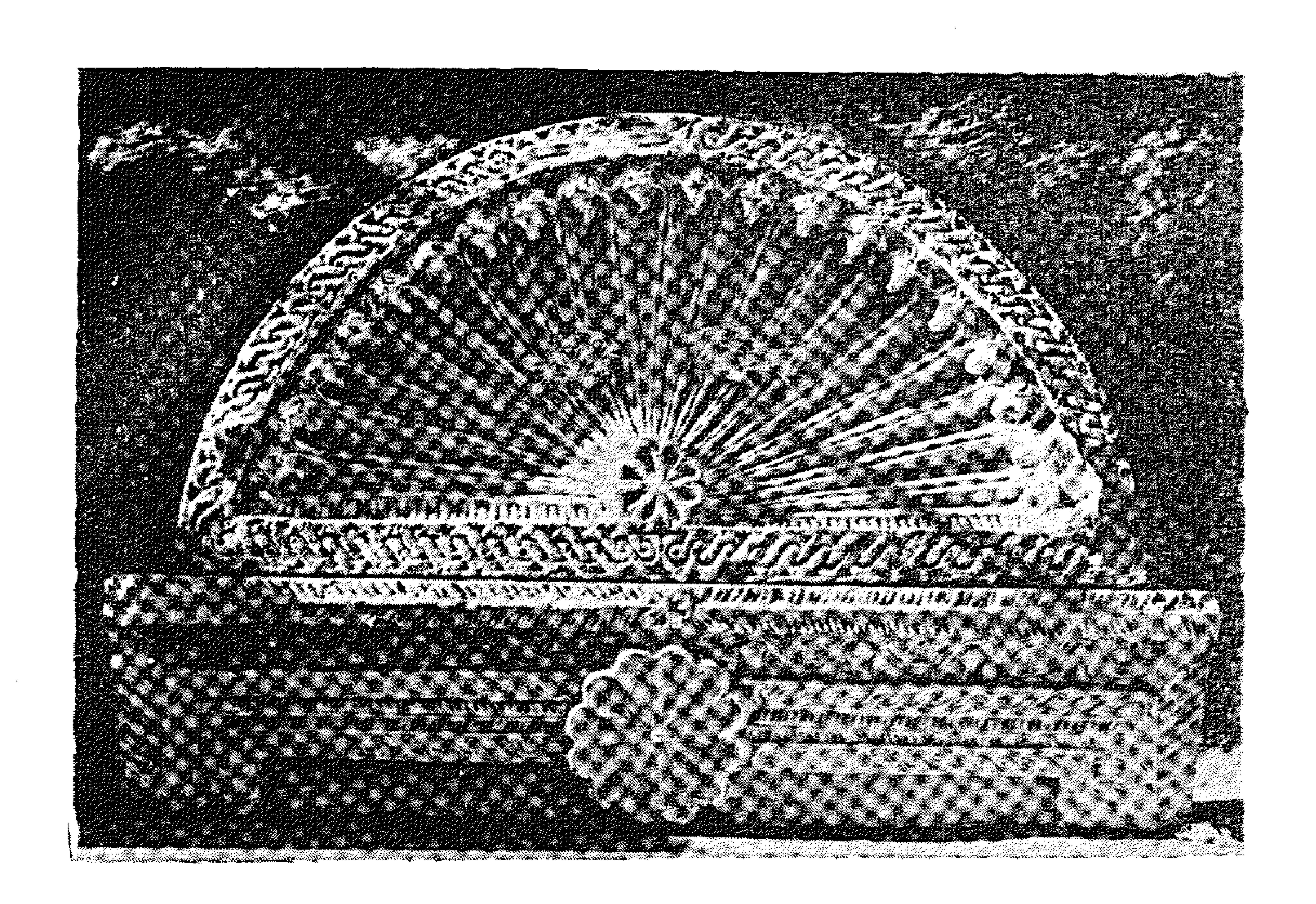
هذه جزيرة صغيرة فى الشلال الثانى على بعــد ١٦ كيلو مترا جنوب وادى حلفا • وهنا قامت البعثة الاسبانية بدراسة كنيستين وجــدت على جدرانهما بعض الصــور ، كمــا قامت بالتنقيب فى عدة منازل من العصر المسيحى •

ج ــ جزيرة عمكة :

تقع هذه الجزيرة على بعــد ٣٠ كيلو مترا جنــوب مدينــة وادى حلفا وهناك اكتشفت مدينة مــن العصر المسيحى وبداخلهــا كنيسة وجدت على جدرانها صور لم تكن بحالة جيدة •

٥ ــ بعثة جامعة كلورادوا :

طلبت بعثة جامعة كلورادو بقيــادة البروفسور ق • و • هيوز باجــراء ابحاث أثرية فى بلاد النوبة السودانية فى نطاق حملة انقــاذ الآثار هناك فمنحت فى عام ١٩٦٢ تصديقا بعمل مسح أثرى غرب وادى حلفا حول جزيرة دبروسة فى منطقة طولها ٦ كـ • م على النيل • وقد تم اكتشاف مواقع أثرية عدة بالاضافة الى الاماكن التى اكتشفت أثناء المسح الأثرى الذى قامت به مصلحة الآثــار مــن قبــل •



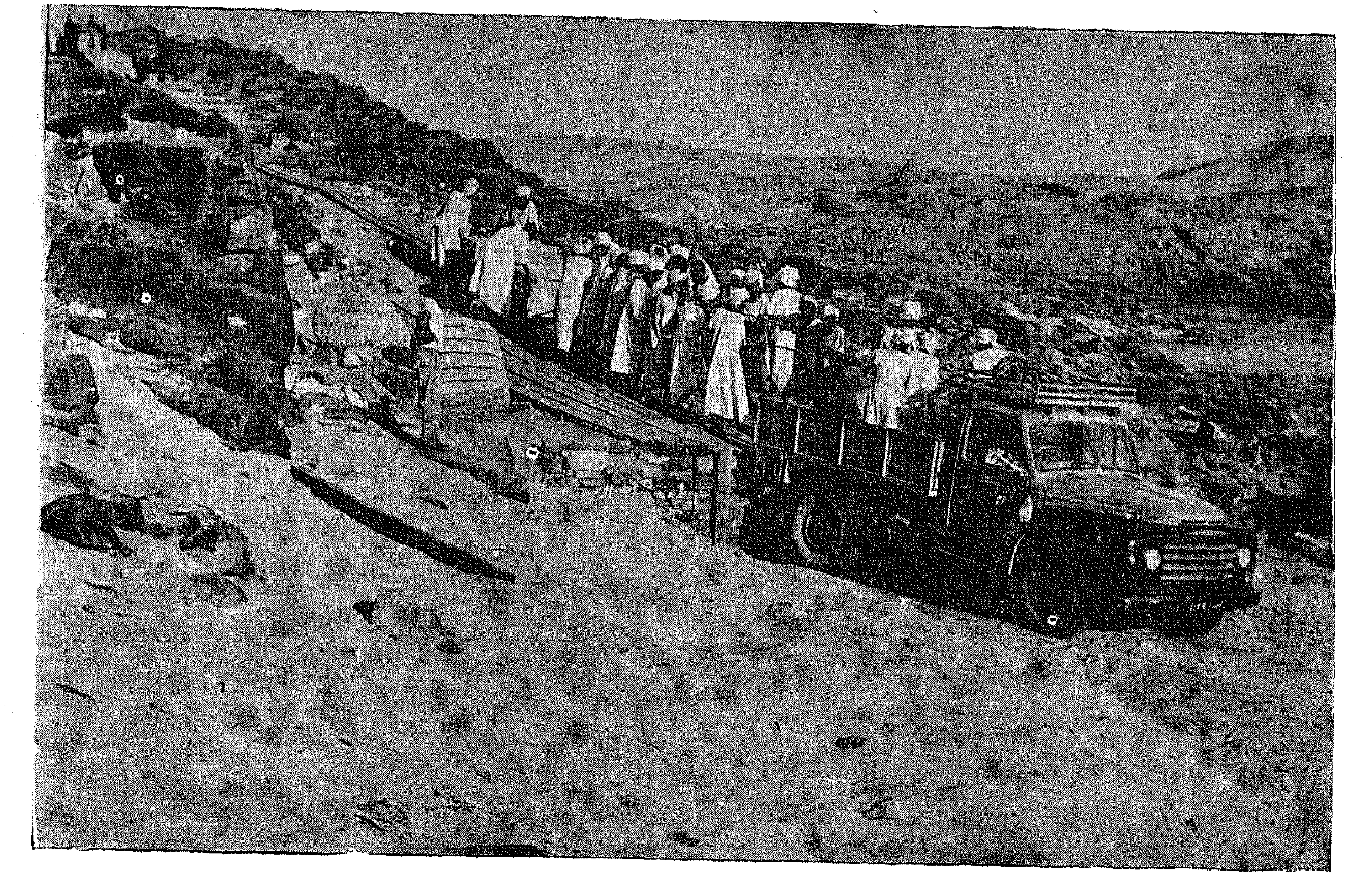
عتب باب من كنيسة فـرس

ثم قامت البعثة بتنقيب المواقع المكتشفة من ضمنها مســاكن من العصر المروى والمسيحى وكذلك من عصر المجموعة الحضارية (X) • كما تــم تنقيب عدد من الجبانات من عصــور مختلفة • وكان لدى البعثة فريــق مــن خبراء علم الاجناس قام بدراسات قيمة فى هــذا المضمار على ما وجــدوه من هياكل عظيمــة فى قبــور تلك الجبانــات التى اكتشفتها البعثة • ومــن اهم الاكتشافات التى كانت من نصيب البعثة تلك التى تتعلق بعصر ما قبل التاريخ فقد اكتشفت مواقع هامة وجدت فيها عظام انسان وحيــوانات متحجرة بجانب ادوات من الحجر فى طبقات مرتبة فوق بعض • هذا وقــد انتهت البعثة مــن اعمالها فى هذه المنطقة فى يناير عام ١٩٦٤ •

وبعد هذا منحت بعثة جامعة كلورادو رخصة باجراء مسح اثرى يتعلــق بعصر ما قبل التاريخ فى المنطقة المهددة بالغرق ما بين جمى ودال على الضــفة الغربية للنيل • فانجزت البعثة هذه المهمة فى فبراير ١٩٦٦ •

٦ ــ البعثة الانجليزية :

كانت مدينة بوهين من اهم المواقع الاثرية المهددة بالدمــار فى بلاد النوبة السودانية • فتولى التنقيب فى بوهــين البروفسور و•ب• امرى مــن جامعة لندن نيابة عن جمعية البحث عن الآثار المصرية • فقد استمر البروفسور امرى فى تنقيب هذا الموقع من عــام ١٩٥٧ الى ١٩٦٤ • وكانت النتيجة مجزية للغاية لانه قد امكن الحصول على معلومــات كثيرة عن النظــام الدفاعى فى المملكة المصرية الوسطى بالاضافة الى تفاصيل اعادة تشييد القلاع والتغيير فى نظامها فى الدولة المصرية الحديثة • ومن اهم الاكتشافات التى حدثت فى بوهين بجانب حصــون الدولة الوســطى تلك المدينــة الصناعية التى يرجــع تاريخها الى الدولــة المصريــة القديمــة •



نقل معبد سمنة شرق بالعربات الى وادى حلفا

وبالاضافة الى كل هذا فقد ساعدت هذه البعثة مصلحة الآثار فى نقل معبد بوهين ، كما قامت بالتنقيب فى كور المدينة الفرعونية التى تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب بوهين فى عام ١٩٦٥ •

٧ ــ البعثة اليوغسلافية :

فى عام ١٩٦٤ تكرمت الحكومة اليوغسلافية بارسال بعثة الى بلاد النوبة السودانية لانقاذ الرسوم التى كانت على جدران كنيسة قرية عبد القادر الواقعة على الضفة الغربية من النيل عند بداية الشلال الثانى من الناحية الشمالية •

وقد نجحت هذه البعثة نجاحا باهرا اذ فصلت جميع الصور من جدران تلك الكنيسة كما قامت بعمل الصيانة اللازمة لها فى نفس المكان وأعدتها للعرض فى أى مكان وفى أى وقت • هذا وقد نقلت هذه الصور الى الخرطوم بنجاح •

٨ ــ البعثة الفرنسية :

فى عام ١٩٦١ منحت البعثة الفرنسية بقيادة البروفسور ج• فيركوتير رخصة باجراء التنقيب فى الاراضى الواقعة حول قلعة مرجسا التى تقع على الضفة الغربية من النيل فى منطقة الشلال الثانى على بعد ٢٠ كيلومترا جنوب وادى حلفا • فقد ابتدأت البعثة الفرنسية العمل فى هذا الموقع الهام فى الثانى من أكتوبر ١٩٦٢ وانتهت من انجاز مهمتها فى شهر يناير ١٩٦٩ •

هذا ويرجع تاريخ حصن مرجسا الى عهد الدولة المصرية الوسطى ، اذ كان واحدا من الحصون العديدة التى شيدها فراعنة الاسرة الثانية عشرة ما بين بوهين وسمنة لحماية تجارتهم برا وبحرا • وتضم المنطقة التى أعطيت

بهذه البعثة قلعة من الـدولة المصرية الوسطى والحديثة وجبانات من نفس العهود كما تشمل على جبانات هامة من عصر كرمة •

ومن الجدير بالذكر أن حفائر البعثة الفرنسية قد برهنت بما لا يدع مجالا للشك أن قلعة مرجسا كانت أكبر قلعة فرعونية فى النوبة السودانية ، كما انها وجدت بحالة جيدة مثل قلعة بوهين • هـذا وتظـن البعثة الفرنسية أن لديها من الادلة ما يثبت أن قلعة مرجسا هى مدينة (اكن) التى جاء ذكرها فى لوحة سيسوسترس الثالث الشهيرة التى اكتشفت من قبل فى سمنة •

أما من ناحية التحف الاثرية فقد كشف النقاب عن أشياء اثرية كثيرة من تماثيل وأوانى فخارية جميلة وتوابيت مزخرفـة وأسلحة وأدوات الزينـة والتجميل • كما تم العثور على لوحات تذكارية وعدد كبير من قطع الفخار عليها كتابات هامة بالهيراطيقية • ومن المتوقـع أن تلقى هذه الكتابات الضوء على البلاد التى كانت تتصل بها مصر الفرعونية والشعوب التى كانت تسكنها فى تلك العصور السحيقة •

٩ ـ بعثة جامعة شيكاغو :

فى شهر مايو من عام ١٩٦٦ منحت بعثة جامعة شيكاغو بقيادة البروفسور ل • زبكار تصديقا بتنقيب القلعة الفرعونية والجبانـات الاثرية المجاورة لهـا فى سمنة جنوب•وعليه فقد باشرت هذه البعثة التنقيب لموسمها الاول فى اكتوبر من نفس السنة واستمرت الى فبراير ١٩٦٧ • وتمكنت البعثة فى هذا الموسم من تنقيب عدد كبير من المقابر التى يرجع تاريخها الى العصر المروى والمجموعة الحضـارية (X) كما ابتدأت العمل فى الحصن الفرعونى • هذا وقد اكتشفت البعثة تحفا أثرية رائعة من هـذه المقابر كما استأنفت البعثة أعمالها للموسم الثانى فى فبراير ١٩٦٨ واتهت منها فى مايو من نفس العام •

١٠ ـ سرة شرق :

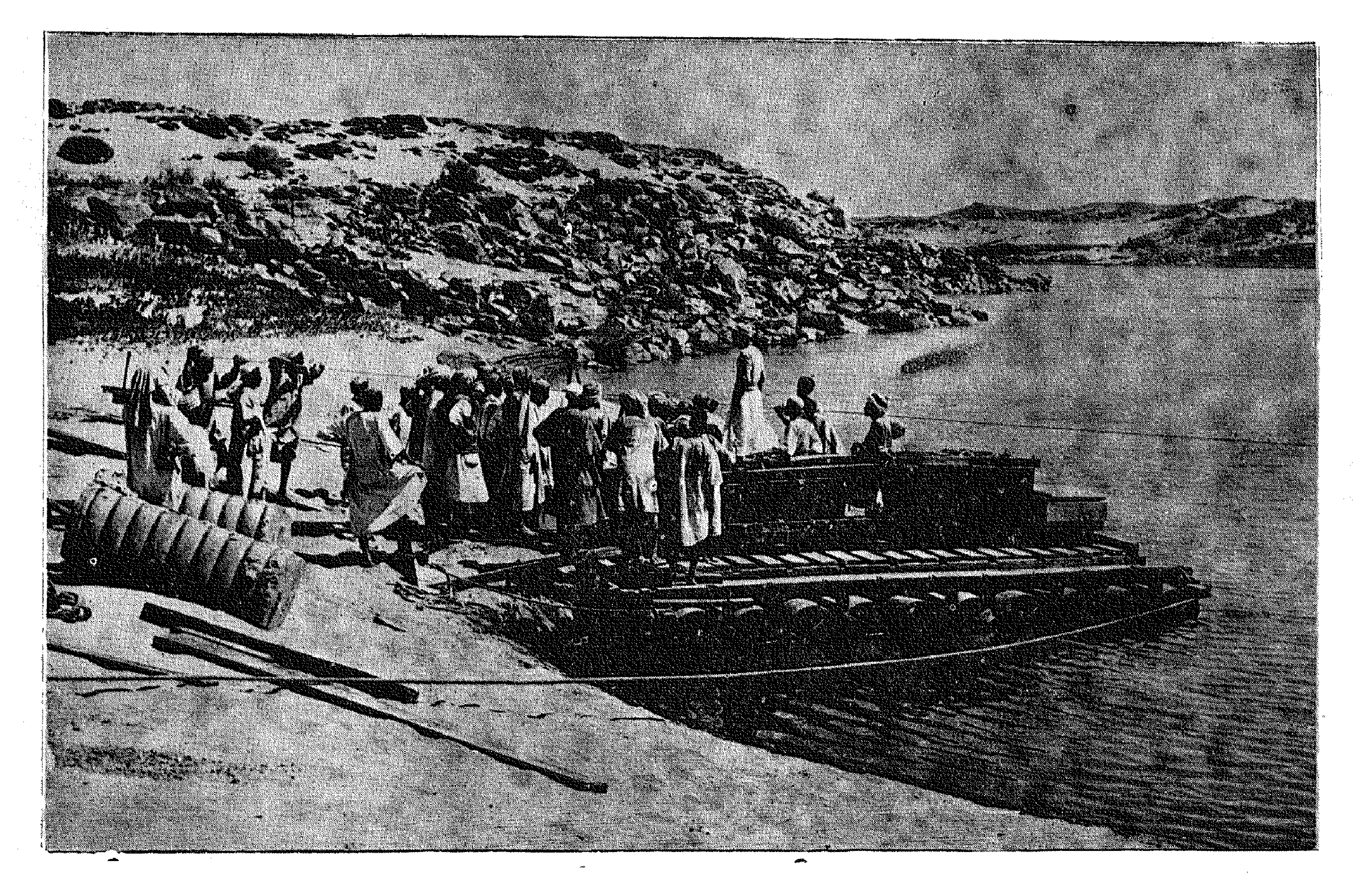
قامت بعثة جامعة شيكاغو برئاسة البروفسور ك• سيلى بالتنقيب فى سره شرق شمال مدينة وادى حلفا وعلى الضفة الشرقية من النيل من عــام ١٩٦١ الى ١٩٦٤ ، وقــد شملت الحفائر التى انجزتها هــذه البعثــة فى ذلك الموقع قلعة فرعونية كبيرة بداخلها عدد من الكنائس والمبانى المسيحية وكذلك جبانات من عهد المجموعة الحضارية الثالثة والعصور الفرعونية • ومن الاشياء الهامــة التى اكتشفت فى هــذا المكان كتاب باللغة النوبية القديمــة يرجــع تاريخه الى العصر المسيحى •

١١ ـ درقنــارتى :

تقع هذه الجزيرة عند مدخل الشــلال الثانى من الناحية الشمالية وقــد وجدت بها قلعة فرعونية • فعندما انتهت بعثة جامعة شيكاغو من أعمالها فى سره شرق طلبت العمل فى هــذه الجزيرة • وعليه قامت بتنقيب هذا الموقــع من أول يناير ١٩٦٤ الى يونيو من نفس العام •

١٢ ـ البعثة الاسكندناوية :

فى عام ١٩٦٠ منحت مصلحة الآثار السودانية رخصة لاجراء مسح أثرى ما بين فرس وجمى على الضفة الشرقية للنيل لبعثة اسكندناوية اعضاؤها من اسويد والنرويج وفنلندا والدنمارك • وكان الهدف الاساسى لاعمال هــذه البعثة اكتشاف المواقع الأثرية وتحــديد اتساعها وازمانها فى منطقة طولها ٥٥ كيلومترا • فابتدأت البعثة أعمال المسح فى أول يناير ١٩٦١ وانتهت منها فى ٢٠ مارس ١٩٦٢ • وكانت نتيجة ابحاث هذه البعثة اكتشاف عدة مئات من المواقع الاثرية والنقوش الصخرية يرجع تاريخها الى جميع العصور التاريخية التى مرت على السودان •



بنطون من البراميل الفارغة لنقل معبد سمنة غرب الى البر الشرقى للنيـــل

بعد هذا طلبت البعثة ، والتى كانت برئاسة البروفسور سافسودر بيرق تنقيب هــذه المواقع فسمحت لها مصلحة الآثار بذلك • وانتهت البعثــة الاسكندناوية من هذه المهمة فى كل المنطقة فى مارس ١٩٦٤ على أكمل وجه• ويجدر بالذكر ان البعثة قد حققت اكتشافات هامة ستلقى كثيرا من الضوء على كثير من مشاكل تاريخ السودان القديم • أما من ناحية التحف الاثرية فقد تم اكتشاف آلاف من القطع الاثرية الجميلة • ومما لا شك فيه فان أعمال البعثة الاسكندناوية قد جاءت بأضخم محصول جاءت به أية بعثة أجنبيــة أخرى فى هذا الصدد •

١٣ ـ بعثة جامعة كليفورنيا :

تقع جزيرة اسكوت على بعد ٣٥ كيلومترا جنوب وادى حلفا و١٧ ك•م• شمال سمنة وتوجد بها بقايا قلعة فرعونية من عهــد الدولة الوسطى وآثار مسيحية • وعندما شنت حملة انقاذ آثار النوبة السودانية سمحت لبعثــة أمريكية من جامعة كليفورنيا باجراء حفائر أثرية فى هذا الموقع • فابتــدأت البعثة عمليــات الحفر بقيادة البروفسور الاســكندر بدوى فى أكتوبر ١٩٦٢ وأنجزت مهمتها فى فبراير ١٩٦٤ •

١٤ ـ دابنــارتى :

شملت الرخصة التى منحت لجامعة كليفورنيا دابنارتى وهى جــزيرة تقع فى منطقة الشــلال الثانى شرق مرجسا على بعــد ٢٠ كيلومترا جنوب وادى حلفا • وبها توجــد أسوار يظن أنها بقايا أســوار حصن من الدولة المصرية الوسطى • فقد قامت بعثة جامعة كليفورنيا باجراء مسح أثرى كامل فى هذه الجزيرة مابين الرابع من يناير والثالث والعشرين من فبراير ١٩٦٣ •

١٥ ـ بعثة جامعة كولمبيا :

تعهدت بعثة جامعة كولمبيا بنيويورك بالتضامن مع هيئات علمية أمريكية أخرى بالقيام بابحاث أثرية تتعلق بعصر ما قبل التاريخ فى كل المنطقة التى ستغمرها مياه السد العالى فى النوبة السودانية فى الضفة الشرقية من النيل ، وكذلك فى المنطقة المهددة بالغرق على الضفة الغربية ما بين فرس وجمى خارج المناطق التى أعطيت للبعثات الاخرى . هذا وقد قامت البعثة بدراسات جيولوجية فى نفس المنطقة .

وابتدأت البعثة أعمالها فى أكتوبر ١٩٦١ واستمرت حتى فبراير ١٩٦٥. وكانت نتيجة تلك الابحاث اكتشاف مئات المواقع وآلاف من الادوات الحجرية والعظام المتحجرة وكثير من المواد التى تصلح لاختبارات الكربون المشع . والذى لا شك فيه هو أننا سنعلم الكثير جدا عن عصور ما قبل التاريخ فى السودان عندما يتم فحص وتحليل هذه المواد التى تم العثور عليها بواسطة هذه البعثة .

١٦ ـ بعثة المانيا الشرقية :

فى عام ١٩٦٢ منحت بعثة أثرية من المانيا الشرقية بقيادة البروفسير ف.. هنتزا رخصة لانجاز عمل هام فى المنطقة المهددة بالغرق فى كل النوبة السودانية . فكان عمل هذه البعثة ينحصر فى اكتشاف الكتابات الاثرية والنقوش الصخرية فى كل المنطقة على ضفتى النيل خارج المواقع التى كانت تعمل فيها البعثات المختلفة . فابتدأ العمل فى هذا المضمار فى السادس والعشرين من فبراير ١٩٦٢ وانتهى فى التاسع عشر من ديسمبر ١٩٦٣ . وعليه فقد تم تدوين وتسجيل مئات من الكتابات وآلاف من النقوش الصخرية بجميع طرق التسجيل المعروفة فى العالم الآن .

١٧ ـ البعثة البلجيكية :

ما بين يناير ومارس ١٩٦١ قامت بعثة بلجيكية بدراسة الكتابات التى على جدران معبدى سمنة شرق وغرب بغرض مقارنتها مع الدراسات التى قام بها بعض العلماء من قبل من أمثال لبسيس ودوزدنهام وجوزيف يانسن • هذا وقد تمكنت هذه البعثة من اكتشاف كتابات لم يلاحظها العلماء الذين سبق ذكرهم كما أنها تستطيع الآن أن تصحح بعض أعمالهم •

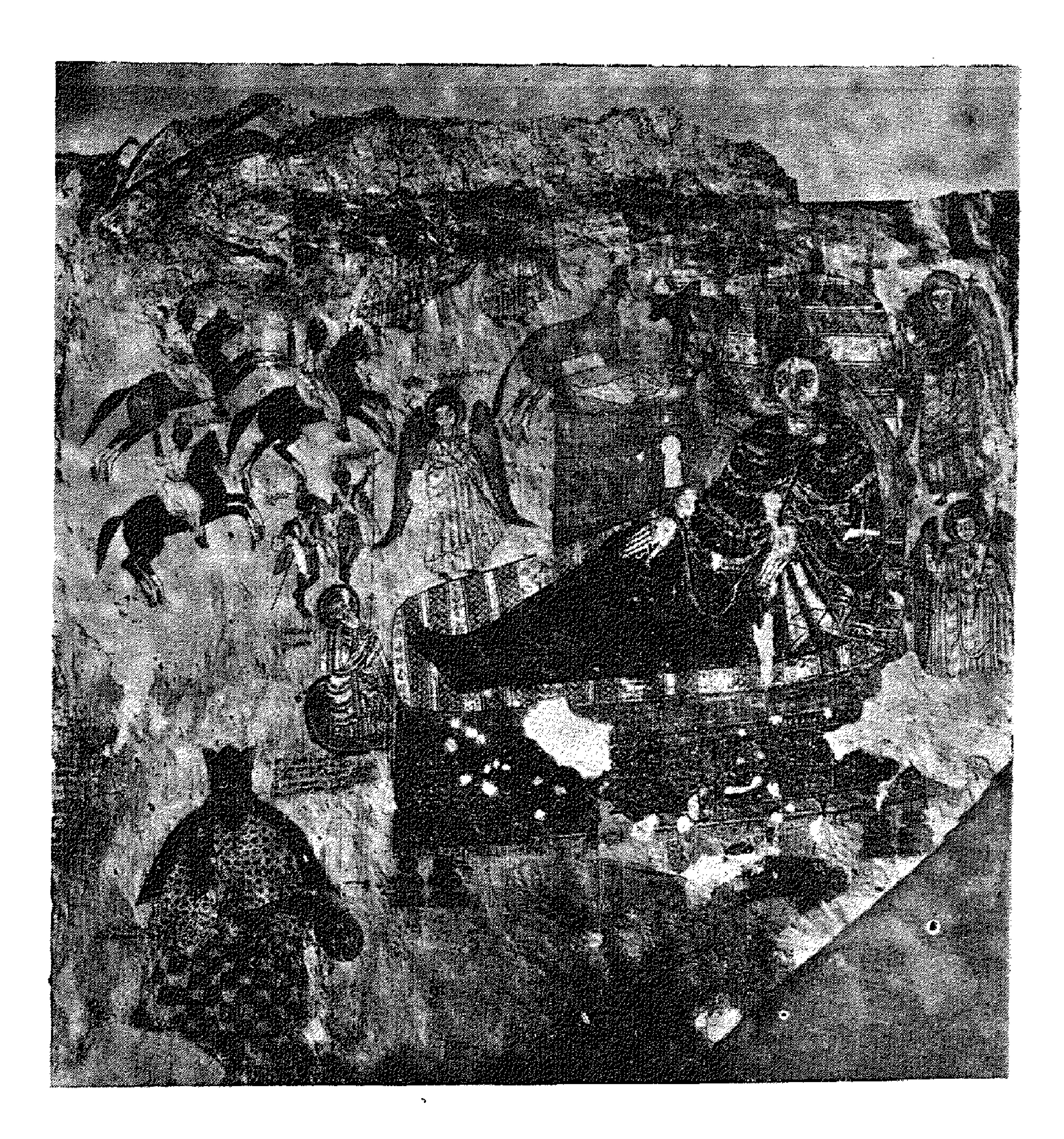
وبالاضافة الى هذا فقد قامت بعثة بلجيكية أخرى بتصوير معابد بوهين وسمنة شرق وغرب تصويرا فتوغرامتريا قبل البدء فى نقلها الى الخرطوم •

١٨ ـ بعثة جامعة براون :

وقبل أن تبتدىء مصلحة الآثار السودانية فى فك ونقل معابد النوبة السودانية كان لابد من تسجيل ونقل الكتابات والنقوش التى على جدرانها • وعليه فقد قامت بهذه المهمة بعثة جامعة براون الامريكية بقيادة البروفسور ريكاردو كامينوس بالتضامن مع جمعية البحث عن الآثار المصرية الانجليزية • أتم البروفسور كامينوس أعماله فى بوهين فى عام ١٩٦١ وبعد ذلك شرع فى نقل وتسجيل كتابات معابد سمنة ما بين عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٥ •

١٩ ـ بعثة المانيا الغربية :

تقع جزيرتا سنار وتنقور على بعد مائة ك•م• جنوب وادى حلفا وتجد فيهما آثارا مسيحية • وتعهدت بعثة من المانيا الغربية بالعمل هناك بقيادة البروفسور دنكلر • هذا وقد ابتدأت البعثة العمل فى فبراير من عام ١٩٦٨ وانتهت فى مارس ١٩٦٨ • هذا وقد قامت نفس البعثة بالتنقيب فى كلبنارتى جنوب عكاشة على الضفة الغربية للنيل •



مشهد ميـــلاد المسيح عليه السلام من كنيسة فـــرس

٢٠ ـ البعثة الايطالية :

فى عام ١٩٦٩ تصدق لبعثة جامعة روما بقيادة البروفسور دونا دونى القيام بالتنقيب فى سنقى بارض الحجر . وتقع سنقى هذه على بعد ١١٠ ك.م جنوب وادى حلفا على الضفة الغربية من النيل . وفى مارس من عام ١٩٦٧ ابتدأت البعثة التنقيب فى كنيسة وجدت على جدرانها رسوم جميلة وكتابات هامة باللغة النوبية القديمة . والجدير بالذكر أن هذه البعثة اكتشفت أطول كتابة باللغة النوبية القديمة وجدت الى هذا التاريخ . هذا وقد تم العمل فى هذه الكنيسة فى عام ١٩٦٨ وتم اكتشاف مزيد من الرسوم والكتابات وتمكنت البعثة من نقلها وصيانتها وهى جاهزة للعرض الآن .

٢١ ـ بعثة جامعة هلسنكى :

فى الرابع عشر من ديسمبر ١٩٦٤ منحت بعثة جامعة هلسنكى بقيادة المستر جوستاف دونر رخصة باجراء حفائر أثرية بين قريتى جمى ومرشد ، منطقة يبلغ طولها ١٥ ك.م على الضفة الشرقية من النيل .

وفى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٦٥ باشرت هذه البعثة أعمالها فى المنطقة المصدق لها بالعمل فيها واستمرت حتى نهاية مارس من نفس السنة . وكانت النتيجة مجزية للغاية ، اذ تم اكتشاف عشرات المواقع من جميع العصور التاريخية ، كما تم العثور على عدد كبير من التحف الاثرية .

٢٢ ـ عكاشة :

تقدمت بعثة جامعة جنيفا بطلب للعمل فى بلاد النوبة السودانية كمساهمة منها لانقاذ الآثار . ولهذا منحتها مصلحة الآثار فى الثانى والعشرين من فبراير ١٩٦٦ رخصة باجراء أعمال أثرية فى منطقة يبلغ طولها ١٥ ك.م.

ما بين قريتي اكمه شمالا وعكاشه جنوبا على بعد ١٢٨ كم. جنوب وادى حلفا على الضفة اليمنى من النيل . وتوجد فى هذه المنطقة جبانات من جميع العصور التاريخية كما توجد كنائس ومبانى متعددة أغلبها من العصر المسيحى . هذا وقد ابتدأت البعثة أبحاثها فى هذه المنطقة فى السادس من سبتمبر ١٩٦٦ وانتهت منها فى هذا العام .

٢٣ ـ بعثة جامعة كنتكى :

قامت بعثة جامعة كنتكى بقيادة الدكتور آدمز بالتنقيب فى جزيرة كلبنارتى من أول يناير ١٩٦٩ الى مارس ١٩٧٠ . ومن الاعمال الهامة التى قامت بها هذه البعثة فى هذا الموقع انقاذ الصور الحائطية التى وجدت على جدران احدى الكنائس هناك . هذا وقد أخذت البعثة جميع هذه الصور الى روما لصيانتها هناك .

أعمال أخرى لمصلحة الآثار :

أ ـ متحف وادى حلفا :

تمكنت مصلحة الآثار فى أبريل من عام ١٩٦٤ من نقل جميع محتويات متحف وادى حلفا بنجاح الى الخرطوم قبل أن تصلها مياه بحيرة السد العالى.

ب ـ دراسات انثروبولوجية :

عندما قررت حكومة جمهورية السودان تهجير سكان بلاد النوبة السودانية التى ستغمرها مياه السد العالى الى مكان تختلف طبيعته عن طبيعة بلاد النوبة انتبهت مصلحة الآثار الى أهمية اجراء دراسات انثروبولوجية فى هذه المنطقة قبل تهجير أهلها الى المكان الجديد . وعليه حول خبير علم

الاجناس التابع لهذه المصلحة نشاطه من جنوب السودان الى شماله فى بلاد النوبة • وابتدأ اجراء الدراسات اللازمة فى الثانى من نوفمبر ١٩٦١ •

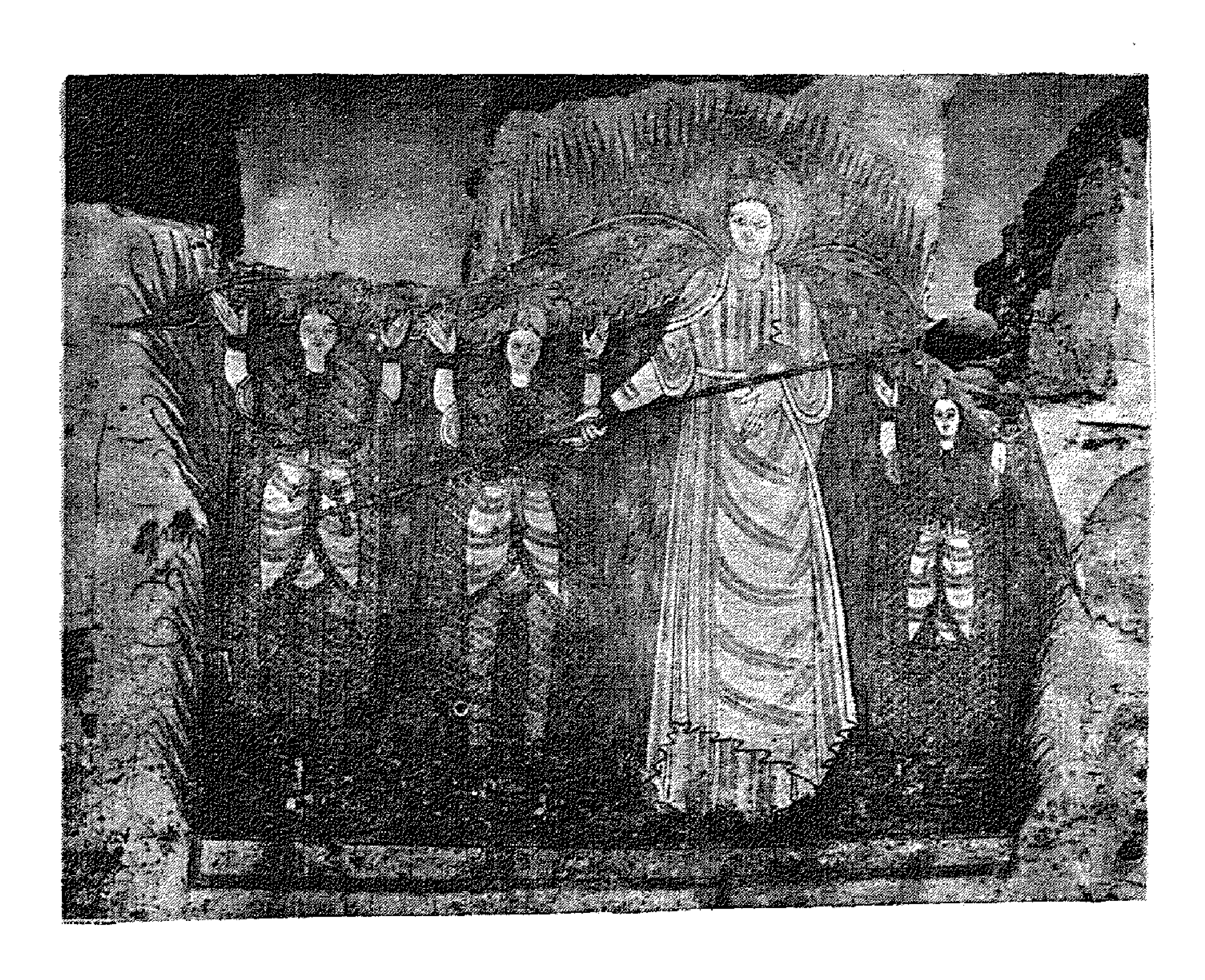
هذا وقد أكمل خبير علم الاجناس دراساته بنجاح وبصورة مرضية فى جميع المنطقة المهـددة ما بين فرس شمالا ودال جنوبا فى الخامس عشر من مارس ١٩٦٤ قبل أن يتم تهجير سكان تلك المنطقة ، وقد أدت دراساته هذه الى نتائج هامة فى هذا الصدد • والجدير بالذكر أن التقارير الاولية لاعمال هـذا الخبير قد نشرت فى العـدد الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من مجـلة مصلحة الآثار •

النتائج العلمية لحملة الانقاذ :

هذا تاريخ حملة انقاذ آثار النوبة السودانية تناولته بايجاز والى القارىء الآن بعض نتائجها العلمية ، ولو أن الحديث عنها فى الوقت الحاضر سـابق لاوانه ، وذلك لان البعثات التى قامت باعمال الانقـاذ لم تفـرغ من دراسـة وطبع ونشر ما قامت به من أعمال ، ولكن أظنه مناسبا للمقام أن ألفت نظر القارىء الكريم الى بعض النتائج العلمية التى تشير الى أهمية الاعمال الاثرية التى جرت هناك • وعلى هذا سأتناول هذا الموضوع بايجاز لا باسهاب ، كما أننى سأحاول ترتيب هذه النتائج ، بقـدر المسـتطاع ، حسـب الترتيب الزمنى للعهود التاريخية التى مرت على السودان •

موجز تاريخ السودان :

ينقسم تاريخ السودان كتاريخ أى بلد آخر الى قسمين : عصر ما قبل التاريخ والعصر التاريخى • فقد وجد فى السودان ما يبرهن على وجـود الانسان فيه منذ العصر الحجرى الاول ، ولكن للاسف لم يقم العلماء من قبل باجراء الابحاث فى هذا الصدد الا بقدر قليل جـدا • الامر الذى لم



الملاك ميكائيل يحمى فى أتون النــار ثلاثة شبــان آمنوا بربهم ... كنيسة فــرس

يمكنهم من ابراز صورة واضحة المعالم لحضارة انسان السودان القـــديم فى العصـــور لتى سبقت التاريخ •

أما العصر التاريخى فيطل فجره على السودان مع بزوغ شمس الاسرات فى مصر ، فعندما قام علماء الآثار بالتنقيب فى بلاد النوبة المصرية عند تعليـــة خزان أسوان عام ١٩٠٧ وجدوا ثقافات مختلفة لم يهتدوا الى معرفة منشئيها، فلجأوا الى تقسيمها الى مجموعات ثقافية رمز لها بالاحرف •فلدينا الآن مثلا المجموعة الثقافية (A) التى كانت معاصرة للاسرة المصرية الاولى ، فالمجموعة الثقافيـــة (B) والمجموعة الثقافية (C) من سنة ٢٣٠٠ الى سنة ٢١٥٠ ق•م• على وجه التقريب والتى جاء بعدها عصر الدولة المصرية الوسطى عندما تم احتلال السودان من حوالى سنة ٢١٥٠ ـــ ١٧٣٠ ق•م• بالتقريب ، ويلى هذا عهد الدولة المصرية الحديثة من ١٥٨٠ الى ١٠٥٠ ق•م• ، ثم يأتى عصر نبته عندمـــا قامت فى الســـودان دولة مستقلة على أنقاض الدولة الحديثة من القرن الثامن الى السادس قبل الميلاد • وفى هذا العهد قام السودانيون بغزو مصر الى أن تخلى عنها الكوشيون عندما طردهم الاشوريون • بعد هـــذا انتقلت عاصمة السودان من نبته بالقرب من جبـــل البركل الى مروى على مسافة قريبة من الكبوشية بمركز شندى • ومن هنا حكمت مروى البـــلاد من حوالى القرن السادس قبل الميلاد الى القرن الرابع الميلادى عندما أفـــل نجمها بهجوم الاكسوميين من الحبشة • ثم تأتى على السودان فترة غامضة يعرفها علماء الآثار بعهد المجموعة الحضارية (X) من القرن الرابع الى السادس بعد الميلاد عندما جاءت الارساليات المسيحية الى السودان ، وابتدأ العصر المسيحى الذى استمر حتى القرن الرابع عشر عندما سقطت دنقـــلا عاصمة مملكة النوبة المسيحية السفلى ، على يد سيف الدين عبد الله الناصر • ومن هذا التاريخ تكون الغلبة للمسلمين فى السودان •

عصر ما قبل التاريخ :

أما بخصوص عصر ما قبل التاريخ فقد أشارت مصلحة الآثار السودانية بوضوح الى أهمية البحث وضرورته فى هذا المجال فى بلاد النوبة السودانية قبل بدء حملة انقاذ الآثار . وعلى هذا فقد جرت هناك أبحاث واسعة بغرض توضيح حياة الانسان القديم والظروف المناخية والبيئية التى تحكمت فى مصيره فى هذا الجزء من أفريقيا ، فقد تم الآن العثور على كثير من المخلفات الاثرية التى تركها ذلك الانسان فى أماكن كثيرة . والجدير بالذكر أن الابحاث قد أدت الى اكتشاف مواقع بطبقات مرتبة بعضها فوق بعض وجدت فى كل طبقة منها آلات حجرية متنوعة . وهذا بالطبع يساعد على ايجاد تاريخ نسبى لتسلسل تلك المواقع . وبالاضافة الى هذا فقد تم العثور على عظام متحجرة ومواقد . وهكذا جمع العلماء المختصون فى هذا الميدان معلومات مفيدة ستساعد فى معرفة الكثير عن تاريخ ما قبل التاريخ من العصر الحجرى الاول الى العصر الحجرى الحديث فى السودان ، ومن هذه المعلومات القيمة ما يفيد بان حضارة المجموعة الثقافية (A) قد انبثقت من حضارة العصر الحجرى الحديث فى السودان والتى يسميها الدكتور آركل بحضارة الخرطوم . هذا وتؤكد نتيجة الاعمال الاثرية فى النوبة السودانية أنه لا وجود لثقافة قائمة بذاتها تختلف عن الثقافات الاخرى فى بلاد النوبة كما كان يظن من قبل ، وأعنى بذلك ثقافة المجموعة الثقافية (B) . والجدير بالذكر أن بعض العلماء قد نادوا بهذا الرأى من قبل ، اذ زعموا أن حضارة المجموعة (B) ما هى فى الواقع الا صورة منحطة من ثقافة المجموعة (A).

المجموعة الثقافية (C)

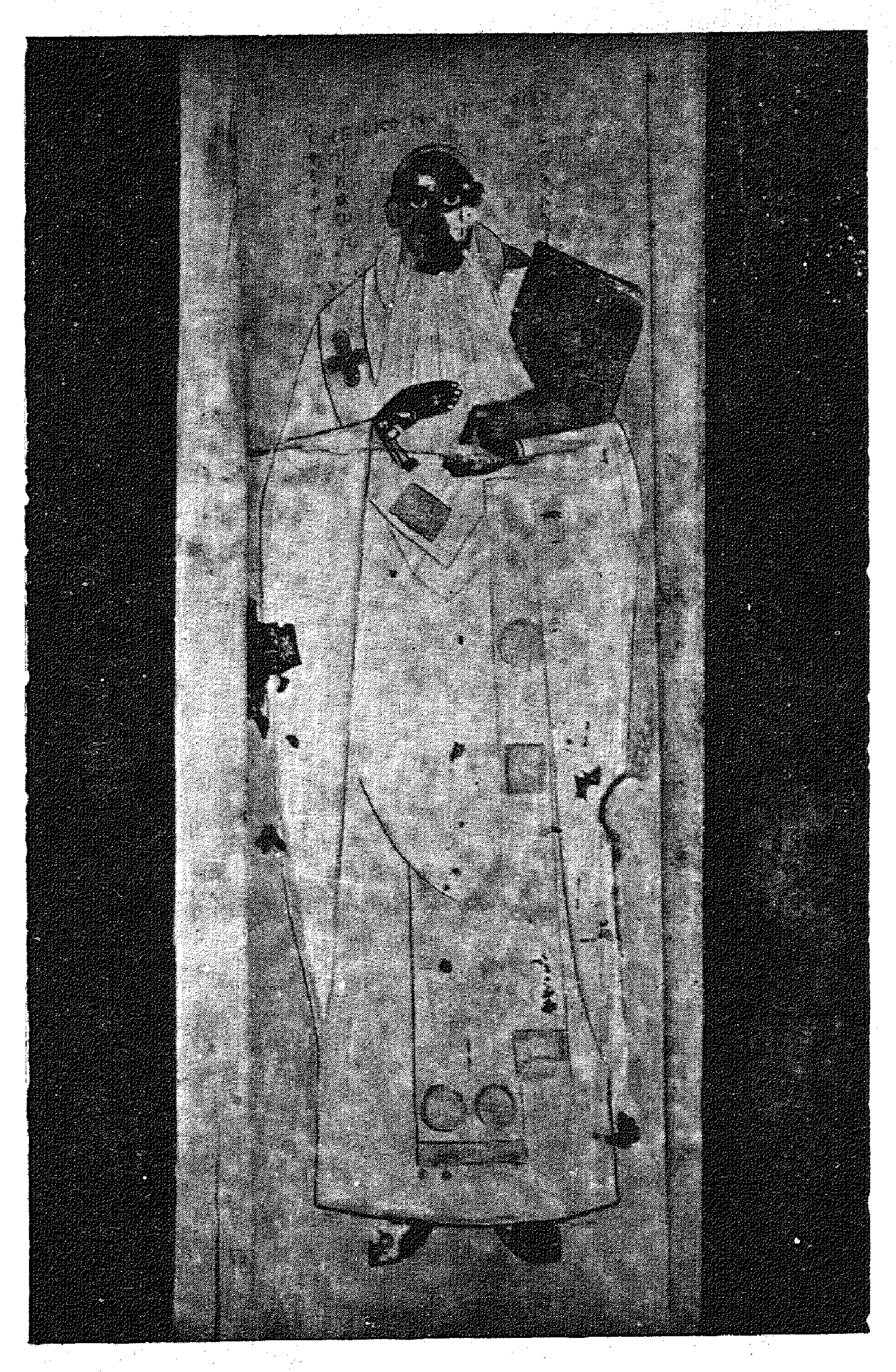
فى نهاية الاسرة السادسة المصرية ، هاجر الى بلاد النوبة قوم من الرعاة اضطروا الى ترك أوطانهم الاصلية التى لا نعرف موقعها الى الآن على وجه

التحقيق ، ولكن دلت الابحاث على أن سكان النوبة فى هـذا العصر كانوا من الحاميين الذين اختلطت دماؤهم بدم الزنوج • وهؤلاء القوم هم الذين نعرفهم الآن بالمجموعة (C) حسب تسمية علماء الآثار كما ذكرنا قبل قليل• أما فيما يختص بهم فان البحث الاثرى فى المنطقة التى غمرتها مياه السد العالى فى بلاد النوبة السودانية قد ألقى كثيرا من الضوء على بعض المسائل التى كانت تتعلق بهذه المجموعة •

الحدود الفاصلة بين ثقافتى المجموعة (C) وكرمة :

فعندما كتب جورجس بوزنير بحثه عن مشكلة تحديد موقـع كوش وعلاقة هـذا الاسم الجغرافى بالثقافات النوبية المختلفة ، مثـل ثقافة كرمة والمجموعـة (C) لم تكن الاخيرة تعرف جنوب فرص على الحدود الجنوبية للجمهورية العربية المتحدة ، كما انه لم يكن من الميسور دراسة الصـلة بين هاتين الثقافتين ، لان أحدا لم يقم من قبل بابحاث أثرية شاملة فى المنطقـة التى تربط بين هاتين الحضارتين والتى تمتد بين فرص وجزيرة صاى التى تبعد مائة وثمانين كيلومترا جنوب وادى حلفا • وقد تم العثور فى هـذه الجزيرة على بقايا وآثار ثقافة كرمة • وقد انتهى بوزنير من بحثه هذا بان أشار الى أن الحد الفاصل بين ثقافة كرمة وحضارة المجموعة (C) لابد أن يكون فى مكان ما فى منطقة الشلال الثانى كما أنه أومأ الى أنه يستحيل اطلاق الاسم الجغرافى كوش على الاقليم الذى يحتله الذين أوجدوا اثقافة المجموعة (C) فى بـلاد النوبة كما ظن بعض العلماء من قبل من أمثال يونكر •

أمـا الآن فقد جاءت الحفائر وعمليـات المسح الاثرى فى وادى حلفـا بما يؤيد ما ذهب اليه بوزنير ويدل على صحته واستقامته • فقد تم العثور على بقايا المجموعة (C) حتى الجندل الثانى جنوبا مع أنه لم يظهر قط ما يدل على وجود آثارهم جنوب تلك المنطقة الا بصفة نادرة جدا • وزيادة على هذا فقد



صورة للمطران النوبى كيروس .. من كنيسة فـرس

اكتشفت قبور تطابق مدافن كرمة تطابقا كاملا فى كل صغيرة وكبيرة فى مرجسة التى تقع عند الشلال الثانى على بعد عشرين كيلومترا جنوب وادى حلفا ، كما يوجد ما يدل على وجود آثار كرمة بين مرجسة وسمنة وعلى هذانستطيع وضع الحدود بين الثقافتين فى منطقة الشلال الثانى • وبناء على النتائج التى توصل اليها بوزنير بعد البحث الذى قام به فى سبيل تحديد موقع كوش الجغرافى ، علينا الآن أن تتخلى نهائيا عن رأى يونكر الذى كان يربط كوش بالمجموعة الثقافية (C) لان الشواهد الاثرية التى تم العثور عليها توضح جليا بأن المجموعة (C) كانت تحتل المنطقة اواقعة بين الشلال الاول والثانى ؛ هذا الاقليم الذى نعرفه بواوات كما ورد فى النصوص المنقوشة •

التحول الى الثقافة المصرية :

وبالاضافة على ما سلف ، وبفضل الابحاث العلمية التى أجريت فى بلاد النوبة السودانية ، نستطيع الآن أن نعلل كيف اختفت حضارة هذه المجموعة ، واندثرت ثقافتها بعد خمسة قرون من مجيئهم الى بلاد النوبة ، فقد استوعبتها الحضارة المصرية شيئا فشيئا الى أن فقدت تماما جميع الصفات المميزة لها حتى صار من المستحيل التفريق بين سكان النوبة والمصريين من الناحية الثقافية فى الدولة المصرية الحديثة •

فان القبور التى اكتشفت فى قرية دبيرة شمال مدينة وادى حلفا وبلدة أرقين على الضفة الغربية للنيل تجاه دبيرة ، وأيضا فى أماكن أخرى توضح لنا بصورة واضحة التحول الذى طرأ على ثقافة هذه المجموعة فى أخريات أيامها ، وكيف تم الانتقال الى الحضارة المصرية البحتة ، التى سادت بلاد النوبة بعد عام ١٥٠٠ ق•م• فتنقسم المدافن التى وجدت فى دبيرة والتى نحن بصددها الآن الى نوعين رئيسيين : طراز نجد فيه القبر تحت بناء علوى من الحجر على سطح الارض وآخر لا نجد فيه أثرا لاى بناء فوق الحفرة التى

كانت توارى فيها جثة الميت • ودل فحص هـذه القبور على أنها لا تطابق تماما الطراز المألوف عند المجموعة (C) فالمميزات التى نجدها فى مدافن العهد الثانى لهذه المجموعة معدومة هنا •

أما محتويات هـذه القبور فتختلف قليـلا عن تلك التى تميز الفترة الثانية للمجموعة (C) فهنا ينعدم تماما ذلك الفخار المحزوز الذى نجده فى العهدين الاول والثانى لهذه المجموعة • كما انه لا يوجد أى أثر لفخار كرمة الذى نجده من وقت لآخر فى قبور العهد المتأخر • وعليه لا يمكن اعتبار هذا الاختلاف الذى نلمسه فى بعض الاوجه بين قبور المجموعة العادية وهذه المدافن التى نتحدث عنها الآن بانه ناتج عن تأثير حضارة كرمة • فالاوانى الفخـارية ذات القمة السوداء الخاصة بهذه المجموعة موجودة بكثرة فى هـذه القبـور ونجد بجانبها أنواعـا من الخزف المصرى الذى يرجـع تاريخه الى الدولة المصرية الحديثة • كذلك نجد أصنافا متعددة من الحلى المحلية المصنوعة من العظم والصدف ، كما نجد بجانبها خرزا من الفاينوس الاخضر وعـددا من الجعلان ، وخرزا من الحجر على شكل طيور لا شك أنها مصرية الاصل •

ويصعب علينا أن نقيم تواريخ متتابعة لهذه المدافن لانها وجدت منبوشة من ناحية ، ولانها بعيدة من بعضها البعض من ناحية أخرى • كما انه لم يكن من الممكن التأكد من ترتيب طبقات الرمال بينها • ولكن تجدر الاشارة هنا الى أن الجعلان التى وجدت فى قبر بدون بناية علوية متأخرة فى الزمن عن الجعل الذى عثر عليه فى قبر آخر شيدت فوقه بناية علوية • ففى الاول وجدت جعلان من عهد تحوتمس الثالث وفى الثانى من حكم أمينوفيس الاول • وربما يشير هذا الى أن الطراز الاول من هذه القبور يرجع تاريخه الى وقت متأخـر من الزمن الثانى • وعلى هذا الافتراض يكون التحول نحو عدم المبالاة بالمبـانى العلوية تدريجيا الى أن اختفت تماما • وبما أن القبور العادية فى عصر الدولة

الحديثة فى النوبة السفلى تتكون من حفر بسيطة بدون بناية عليها ، يبدو هذا التحول مقبولا فى حد ذاته ولكن لا يمكن البرهان عليه بما رأيناه فى هذا الموقع ٠

هذا وقد وجدت قبور من الدولة المصرية الحديثة بجوار الموقع الذى تحدثنا عنه ، وفى أماكن أخرى فى منطقة دبيرة ، لها أهمية خاصة فى أنها معاصرة الى حد ما لمدافن المجموعة (C) فى نفس الناحية ٠ فمثلا يرجع تاريخ مقبرة جحوتيحتب الذى كان أميرا لمنطقة دبيرة والذى وجد قبره بالقرب من الموقع الذى سلف ذكره الى عهد المملكة المصرية حاتشبسوت والملك تحوتمس الثالث ، كما ان الفخار والاشياء التى وجدت فى هذا القبر تشير الى أن تاريخها يرجع الى أوائل أيام الاسرة الثامنة عشر ٠ وهكذا توضح هذه المدافن نتيجة تحول المجموعة (C) التدريجى الى الثقافة المصرية ٠ وليس الفرق كبيرا بين قبور الجبانة التى سبق الحديث عنها ومدافن الدولة الحديثة فى نفس المكان من الناحية الزمنية كما هو عليه فى المراحل الثقافية ٠ وربما يكون مقبولا أن نفترض أن القبور التى على الطراز المصرى وتحتوى على لوازم الدفن المصرية للحكام المصريين لذلك الاقليم ، بينما استمر دفن النوبيين الذين غلبوا على أمرهم على عادة الدفن المحلية ٠ ولكن يبعد أن يكون الامر كذلك ، لاننا نعلم من النقوش التى وجدت على جدران قبر جحوتيحتب أن ذلك الامير نفسه كان نوبيا من أبوين نوبيين ، وانه أكثر احتمالا أن يكون الاسلاف المباشرون ، وربما أشدهم محافظة وأكثرهم فقرا ، من الاقرباء المعاصرين لامثال جحوتيحتب ، هم الذين دفنوا على الطريقة المحلية ٠

وعلى العموم فاننا ما زلنا نجهل الكثير عن هؤلاء القوم الذين أنشأوا هذه الثقافة ، فمثلا نعرف القليل جدا عن الصلة بين هذه الحضارة وما نسميها ثقافة كرمة ٠ كما تقابلنا مشكلة تحديد علاقتها الزمنية والاجتماعية بالمجموعة الثقافية (A) التى عاصرت الاسرة المصرية الاولى وبالحضارات الاخرى



صورة حائطية لاحد الملائكة .. من كنيسة فرس

التى سبقتها فى بلاد النوبة • ونأمل أن يتم ايجاد حلول هذه المسائل عند انجاز المسح الاثرى فى كل بلاد النوبة السودانية وذلك بعد أن يتم تحليل المواد التى يتم العثور عليها • أما من أين جاء هؤلاء القوم فمازال الغموض يحيط بهذه المسألة • فقد تشعبت الآراء واختلفت النظريات فى هذا الموضوع • ولكن هناك ما يشير الى أنه من الممكن الوصول الى بعض النتائج فى هذا الصدد اذا قمنا ، ليس بدراسة الاوصاف الفسيولوجية فحسب ، بل بدراسة ناحية أخرى لها أوثق الصلة بحياتهم ، ألا وهى مواشيهم التى كانوا يقومون بدفنها حول مقابرهم •

وقبل أن أنهى حديثى عن هذه المجموعة أود أن أذكر أن الحفائر فى بلاد النوبة السودانية قد كشفت النقاب عن عدد من مساكن هؤلاء القوم ، وهذا أمر نادر الوجود • وهكذا نجد العلماء يكدون ويبذلون كل ما فى وسعهم لجمع المعلومات الصغيرة المتفرقة من هنا وهناك لكتابة تاريخ ما تجهله البشرية الآن •

بوهين :

تاريخ الموقع

ومن المواقع الهامة التى جرت فيها عمليات التنقيب فى المنطقة التى غمرتها مياه السد العالى مدينة بوهين الشهيرة ، التى ورد ذكرها فى بردية الرمسيوم• وقد أتت الحفائر التى قامت بها جمعية البحث عن الآثار المصرية بقيادة البروفسير امرى بمعلومات قيمة ، مما أضاف الكثير الى ما كنا نعلمه عن الهندسة المعمارية للاغراض الحربية عند قدماء المصريين وجعلنا نعيد النظر فى تاريخ العلاقات السياسية بين مصر والسودان •

وتقع هذه المدينة التاريخية على بعد ثلاثة أميال جنوب مدينة وادى حلفا على الضفة الغربية للنيل • فقد كانت احدى القلاع التى شيدها فراعنة الاسرة الثانية عشر فى هذه المنطقة من بلاد النوبة ، لحماية الحدود الجنوبية لدولتهم



السيدة العذراء تحمل المسيح الطفل وتحمى أميرة نوبية .. من كنيسة فرس

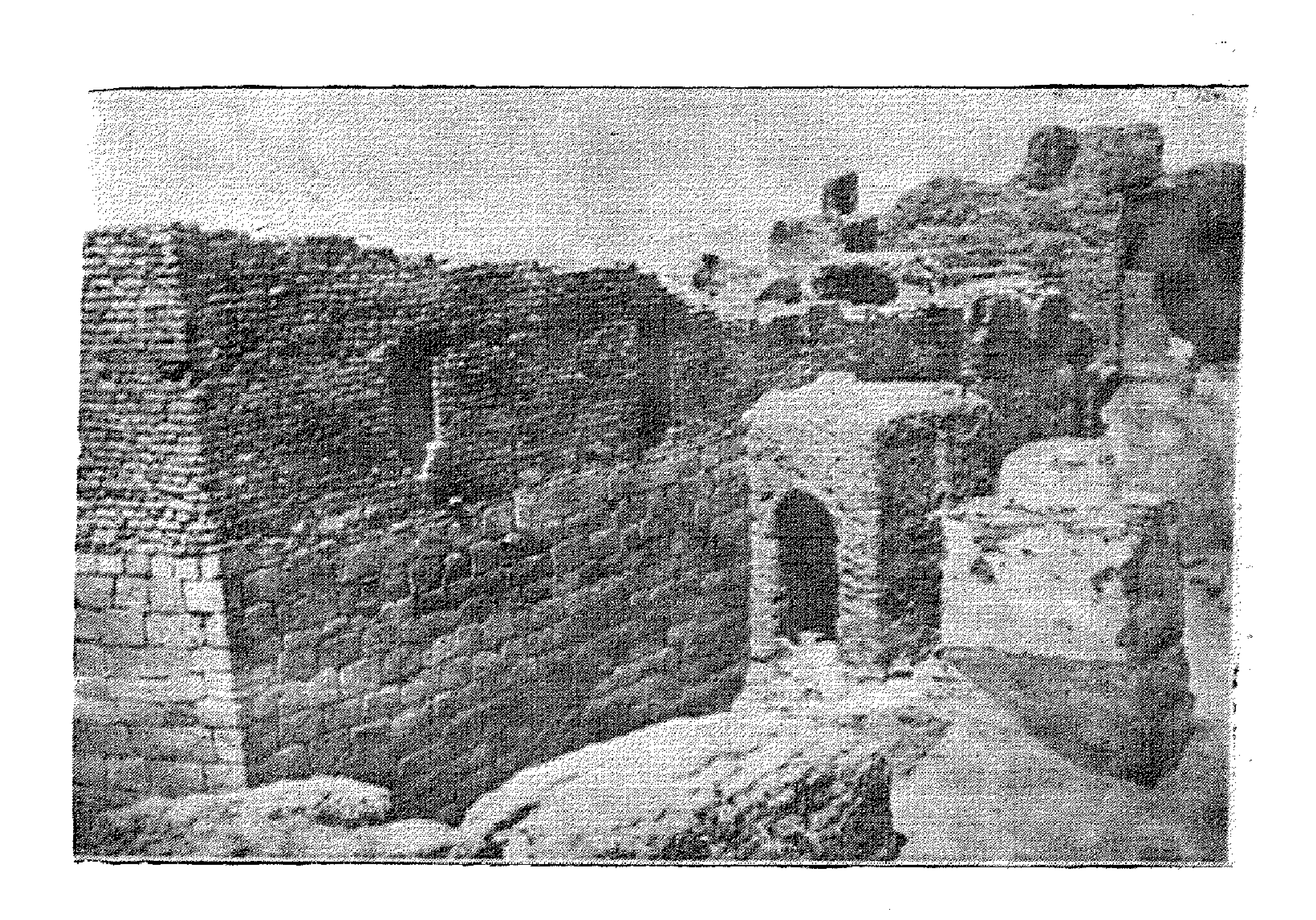
والسيطرة على الطريق البرى والبحرى بين الجندل الثانى وسمنة على بعد أربعين ميلا جنوب وادى حلفا • ولكن عندما ساءت الامور وتدهورت الاحوال السياسية فى شمال الوادى غزا الهكسوس مصر وثار السكان الاصليون فى بلاد النوبة وقاموا بدك هذه الحصورن وحرقها • فبعد طرد الهكسوس الغزاة من مصر فى بداية الاسرة الثامنة عشر أعاد المصريون فتح السودان واستولوا على بوهين للمرة الثانية • فازدهرت بوهين ونمت نموا كبيرا فى هذا العصر • فقد أعيد تشييد الحصن القديم وبنيت استحكامات جديدة تحيط بالمدينة على نسط يختلف عن طريقة بناء الحصون فى الدولة المصرية الوسطى • كما تم بناء معبدين داخل المدينة • فكانت المراكب تأتى بالمنتوجات المصرية الى بوهين لتفرغ هنا وتوسق بمحاصيل السودان • واستمرت بوهين مستعمرة حربية مصرية الى أن أفل نجم الامبراطورية الحديثة فى نهاية الاسرة العشرينية •

تاريخ البحث الاثرى فى بوهين :

وقد حدث فحص معبدى بوهين علميا فى أوائل القرن التاسع عشر ولكن لم يعرف عن وجود الحصون والمدينة الى أن أثبت هنرى لايونز وجودهما فى عام ١٨٩٢ • وكان أول اختبار أثرى للموقع فى عام ١٩١٠ ، عندما قامت بعثة جامعة بنسلفينيا بالتنقيب فى المقابر المتعددة فى بوهين وبينت حدود الحصون بدون أن تقوم بدراسة تفصيلية لطريقة بنائها • وبقيت بوهين هكذا الى أن منحت جمعية البحث عن الآثار المصرية ايجازا باجراء الحفائر هناك•

الحصـــون :

وكانت الحفائر التى قامت بها هذه الجمعية مجزية للغاية من الناحية العلمية • اذ وجدت الحصون والمبانى الاخرى بحالة جيدة لم يسبق لها مثيل فى بلاد النوبة • وكان ذلك بفضل رمال الصحراء التى أتت بها الرياح وغطت بها المبانى حتى صارت فى مأمن من عبث التآكل عبر القرون • وهكذا بقيت



كنيسة فرس التى وجدت على جدرانها أروع الصور الحائطية

بوهين مثالا نادرا لهندسة البناء الحربية عند قدماء المصريين • فقد أمكن الحصول على معلومات كاملة عن النظام الدفاعي فى المملكة المصرية الوسطى بالاضافة الى تفاصيل اعادة تشييد القلاع والتغيير فى نظامها فى الدولة الحديثة • كما صار من الممكن رسم الشكل الاصلى لهذه الحصون على درجة عظيمة من الدقة من بقايا المبانى التى وجدت فى بوهين • والجدير بالذكر أن حصن بوهين يماثل الى حد كبير تلك القلاع التى عرفتها أوروبا فى القرون الوسطى •

الحصان :

وبينما كانوا يزيلون المبانى التى أضيفت فى الدولة الحديثة حدث اكتشاف مهم فى بوهين • فقد عثر على مدفن حصان وجد هيكله العظمى على أرضية متراس الدولة الوسطى المرصوفة باللبن • ولا يمكن ان يتطرق الشك الى تاريخ هذا الحصان من الناحية الاثرية • فقد وجدت عظامه تحت رسوبيات مرتبة طبقة على طبقة يبلغ سمكها مائة وخمسة عشر سنتيمترا بنيت عليها مبانى الدولة الحديثة • وزيادة على هذا فقد وجدت العظام تحت طبقة من الرماد والفحم ولا شك انها بقايا حرق القلعة عندما اقتحمت عام ١٦٧٥ ق•م• على وجه التقريب • وتشير اختبارات الكربون المشمع التى أجريت لهذه المواد فى معامل المتحف البريطانى الى صحة التاريخ الذى نستخلصه لهذا الحصان من الشواهد الاثرية • والذى يهمنا فى هذا المجال أنه لم يعثر على ما يدل على أن الحصان كان معروفا فى مصر قبل الاسرة الثامنة عشرة مع انه كان معروفا فى بلاد النهرين منذ حوالى ٢٠٠٠ ق•م ، وكان الاعتقاد السائد أن الهكسوس هم الذين ادخلوا هذا الحيوان فى وادى النيل • بينما يقدم اكتشاف بوهين تاريخ ظهور الحصان فى وادى النيل بحوالى مائتى سنة على ما كان يعتقد من قبل •

العلاقة بين مصر والسودان فى الدولة القديمة :

ومن أهم الاكتشافات التى أنجزت أيضا فى بوهين ، ذلك الاكتشاف

العظيم الذى سيؤدى الى تغيير تاريخ هذه المدينة جزريا ، مما سيجعلنا نعيد النظر فى تأريخ العلاقات السياسية بين مصر والسودان • فلم يكن لدينا من قبل ما يوضح جليا علاقة السودان بمصر الفرعونية قبل ظهـور الاسرة الثانية عشرة ، غير ذلك المشهد الحربى الذين وجد منقوشا على صخرة بجبل شيخ سليمان بالضفة الغربية للنيل على بعد أربعة أميال جنوب وادى حلفا • فلم يكن معروفا على وجه التأكيد ان كان ذلك المشهد الذى من عهد الملك جـر ثالث ملك فى الاسرة الاولى ، دليلا على ان المصريين قاموا باحتلال تلك المنطقة من السودان بالفعل فى ذلك الزمن أم أنهم أرسلوا فقط مجرد حملة تأديبية لتلك الجهـة •

أما الآن فقد أماط التنقيب اللثام فى عام ١٩٦٢ عن وجود مدينة صناعية مصرية يرجع تاريخها الى عهـد الدولة المصرية القديمة • فقد ظهـر جليا ان المدينة كانت مستعمرة مصرية خالصة ، كما ظهر أن صناعـة النحاس كانت احدى الصناعات التى تمارس فى هذه المدينة ، الامر الذى يشير الى وجود خام النحاس فى مكان ما فى السودان الشمالى • ونستخلص من عدد الاختام التى وجدت هنـاك ، والتى كانت توضع على رسـائل البردى والاكياس والجرار ، أن المدينة كانت على صلة رسمية مع مصر طوال عهـد الاسرتين الرابعة والخامسة ، فمن الاسماء التى وجدت على بعض هذه الاختام اسم خفرع ومنكاورع وساحورع ونفرايركارع ونيوسرع • وقد تم العثور أيضا على عدد من الخزف المكتوب • هذا وقد تم اكتشاف كتابة ربما من عهـد الدولة القديمة فى بلدة عكاشة على بعد مائة وثلاثين كيلومترا جنوب هـذه المدينة التى سلف ذكرها • وهكذا يتضح أن احتلال مصر الكلى لبلاد النوبة لم يبتدىء فى عهد الدولة الوسطى كما كنا نعتقد من قبل ، بل حدث فى أيام الدولة القديمة فى عصر بناة الاهرام • وعلى هذا سيضاف فصـل جديد فى كتب تاريخ السودان القديم عندما يتم نشر نتائج الحفائر فى هذا الموقع •

النزاع بين افراد عائلة تحوتمس :

هـــذا ويعلم المهتمون بالتاريخ المصرى القــديم أن من المسائل التى شغلت أذهان علماء المصريات كثيرا ، ونالت حظا وافرا من البحث والنقــاش مشكلة التتابع الزمنى لحــكم الملكة حاتشبسوت وأقاربها الثلاثة مـــن الملوك الذين حملوا نفس الاسم ألا وهـــم تحوتمس الاول والثانى والثالث • فقــد قدمت نظريات عديدة فى هذا الشأن تفسر مجرى الحوادث وترتيبها فيمـــا يتعلق بهؤلاء الملوك • كما جاءت آراء أخرى تنقد تلك النظريات وتخالفهـــا فكان آخر بحث فى هذا الصدد هو ذلك الذى أتى به وليم ادجرتون الذى أشار فى بحثه الى ما سبق كتابته فى هذه المسألة ، وأتى بتفسير جـــديد يخالف ما كان معروفا من قبـــل •

وعندما شرعت مصلحة الآثار السودانية فى فك ثلاثة معابد من عهـــد الاسرة المصرية الثامنة عشرة لنقلها الى الخرطوم كنا يقظين ، كما كنا حريصين على جمع المعلومات التى ربما تلقى أضواء جديدة على هذه المسألة ، وتساعد فى حل مشكلة حاتشبسوت وأقربائها المباشرين من الفراعنة كما جاء ذكرهم من قبل • فقد توج الله اهتمامنا هذا بنتائج عظيمة فيمايختص بهذا الموضوع• إذ تم العثور فى معبد سمنة شرق ، على بعد ٤٠ ميلا جنوب وادى حلفا ، على شواهد أثرية جديدة هامة ستلقى كثيرا من الضوء على هذه المسألة وزيادة على كل هذا فاننا الآن نستطيع تقديم دراسة دقيقة عن تاريخ بناء هذا المعبد الامر الذى سيعاوننا أيضا فى تفسير نفس المشكلة • فالشواهد المعمـــارية تتفق تماما مع الادلة المكتوبة التى وجدت أخيرا فى هذا المعبد •

وهكذا نرى أن الاعمـــال الاثرية فى السودان تقـــدم الحلول لبعض مشاكل التاريخ المصرى ولا غرابة فى هذا فان تاريخ السودان جزء لا يتجزأ من تاريخ مصر • هـــذا ويسرنى أن أحيطكم علما بان هـــذه الاكتشافات والدراسات سوف تظهر قريبا ان شاء الله على صفحات مجلة مصلحة الآثار الســـودانية •

عصر نبتـا ومـروى :

أما عن تاريخ بلاد النوبة السفلى بعد أن تخلى عنها المصريون عنـد اضمحلال دولة الرعامسة ، فبالاسف ان الاعمال الاثرية التى جرت هناك على نطاق واسع لم تلق أى ضوء على تاريخ هذه الفترة التى تمتد من نهاية الدولة المصرية الحديثة الى ظهور مملكة مروى ، اذ لم نحظ بالعثور على أى أثر ينير لنا الطريق لمعرفة شيء عن تاريخ هذه الفترة المظلمة التى حلت بهذا الجـزء مـن بلاد النوبة ، بالرغم من أننا نعلم جيـدا أنه قـد ازدهرت فى نبتا مملكة فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وانها احتلت مصر لاكثر من نصف قرن وتعرف فى التاريخ المصرى بالاسرة الخامسة والعشرين . وهـذا مما جعـل بعض العلماء يظنون أن هـذه البلاد كانت خالية من السـكان فى عصر نبتا لسبب نجهـله الآن .

ولكن الحفائر الاثرية تدل على أن بلاد النوبة ابتدأت تأهل بالسكان سريعا حوالى ١٠٠ ق.م. وذلك عنـدما ظهرت الحضارة المروية . وربمـا يعزى هذا الى ادخال الساقيـة من مصر الى السودان . وتشير الشـواهد الى أن تعمير هذه البلاد كان على نطاق واسع فى العصر المروى اذ نجد كثيرا من المواقع على ضفتى النيل ، كما نراها فى أغلب الجـزر الكبيرة . وتثبت الدلائل على أن حياة الناس كانت حياة رخاء ويسر فى الفترة ما بين ١٠٠ ق.م. و ٣٠٠ ميلادية ، فقد كانوا يسكنون بيوتا فسيحة مبنية مـن اللبن . وزيادة على هذا فان الادوات التى وجدت فى قبورهم ومنازلهم تدل على أنهم كانوا موسرى الحال وعلى أن تجارة مزدهرة كانت بينهم وبين مصر .

ثم تدهورت الاحوال وساءت الظروف بعد عام ٣٥٠ من الميلاد ، عندما سقطت مروى وقضى عليها الاكسوميون من الحبشة . ويبدو أن البلا جميعها قد وطئها عديد من الفاتحين والغـزاة . وأشهر القادمين الجـدد من يسميهم علماء الآثار فى بلاد النوبة بالمجموعة (X) . ونحن لا نعرف الآن أصل هؤلاء القوم على وجه التأكيد . ولكن يظن غالبا أنهم أجـداد النوبيين الحاليين .

ولا يبعد أن يكون هذا هو الصواب • فنتيجة للعمليات الاثرية الحالية نجـد قبورهم وآثارهم فى كل قرية من قرى بلاد النوبة السودانية كما نرى أن كثيرا من الادوات التى وجدت فى مدافنهم مازالت تصنع وتستعمل فى بلاد النوبة الى يومنا هذا بدون أن يطرأ عليها أى تغيير •

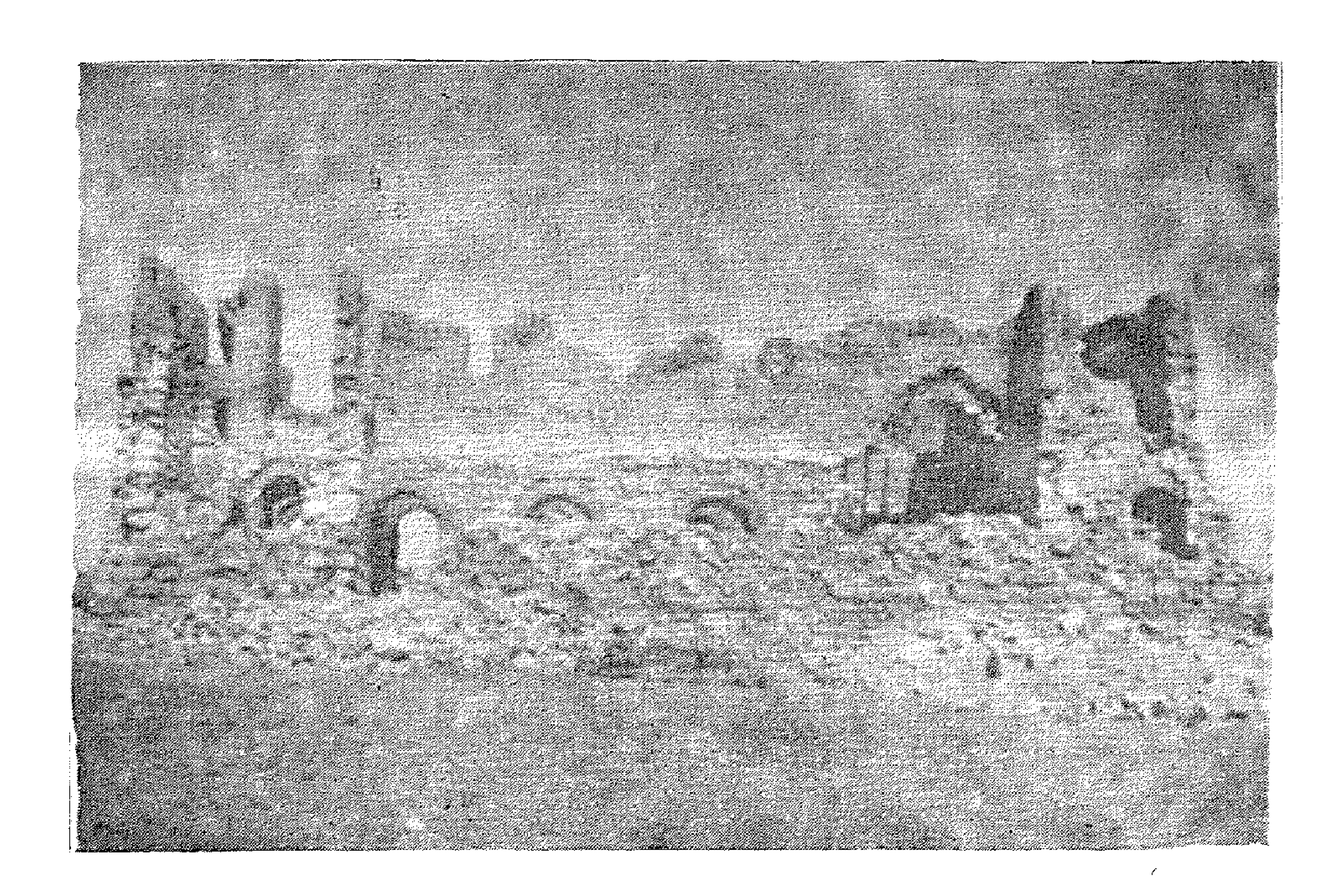
ومهما يكن أصل هؤلاء القوم فقد دل فحص بقاياهم بوضوح على أن ثقافتهم قد اقتبست الى حد كبير من مصر الرومانية كما أنها تحمل بين طياتها مسحة افريقية ظاهرة • وعلى هذا فان كثيرا مـن المميزات الثقافية لهذا العصر تظهر من قبل فى الحضارة المروية المتأخرة ، مما يوحى بان التئاما قد حـدث بين عنصرين مختلفين : وصول سكان جدد من الجنوب وسمات ثقافية جديدة من الشمال الى بلاد النوبة • هذا وقد أوضحت الحفائر أن الناس فى هـذا العصر كانوا أفقر نسبيا من أسـلافهم فى العصر المروى وأنهم كانوا يسكنون فى أكواخ صغيرة من الطين والحجر نجدها مبعثرة بشكل واسـع على ضفاف النيـــل •

العصر المسيحى :

تاريـخ عـام

كان اعتناق النوبيين الديانة المسيحية فى القرن السادس الميلادى ايذانا ببدء فترة تقدم سياسى وثقافى فى السودان • وكان من اثر امتزاج الحضارة المحلية والعناصر الجديدة التى جاءت من مناطق البحر الابيض المتوسط أن نشأت تلك الحركة الفكرية والفنية التى تتجلى فى المخلفات الاثرية التى تراها فى بلاد النوبة اليوم وان الفترة التى امتدت ما يقرب من الالف سنة ، لتعد فترة من تاريخ السودان لم تنل من البحث والدراسة الا القليل ، نسبة لما انطبع فى الاذهان من قراءة النصوص المكتوبة التى وصلتنا عن هذه الحقبة•

ولكننا اذا رجعنا الى الشواهد الاثرية نجد صورة مخالفة للحياة فى النوبـة المسيحية لتلك التى نجدها فى الروايات المدونة • فلدينـا الآن ولاول



كنيسة دبيره غـرب

مرة بفضل الابحاث الاثرية الاخيرة شواهد أثرية تشمل كل العصر المسيحى ، ومنها نستطيع أن تتبع نشأة الحضارة النوبية وازدهارها ومراحل انحلالها خطوة بعد خطوة • فالصورة العامة للنوبة المسيحية التى نستخلصها من هذه الشواهد الاثرية توضح جليا أن البلاد كانت تتمتع بالاستقرار والرخاء لحقبة طويلة من الزمن •

فقد جاءت الارساليات التبشيرية الى بلاد النوبة فى أواسط القرن السادس الميلادى ويبدو أن تنصير المجموعة (X) تم سريعا ، اذ نرى ظهور عدد كبير من الكنائس المبنية من اللبن • وكانت أغلب هذه الكنائس صغيرة فى حجمها بادىء الامر • أما من النواحى الاخرى فيظهر أن الحياة فى النوبة المسيحية فى القرنين الاولين لم يطرأ عليها تغيير مما كانت عليها أيام المجموعة (X) كما استمرت مصر تسود البلاد ثقافيا ، وقد اتضح ان المسيحيين الاوائل كانوا يسكنون فى بيوت صغيرة نجدها الآن فى كل مكان •

ولكن حدث تغيير كبير وتطور عظيم فى بلاد النوبة ما بين القرن الثامن والحادى عشر الميلادى • فقد انقطعت العلاقة الثقافية بين مصر وبلاد النوبة لفترة ما ، مما جعلها تشق طريقا مستقلا للتطور • وكانت النتيجة حدوث تطور مستقل ملحوظ فى الفن والمعمار وصناعة الفخار ونواحى أخر للحياة• ومن الملحوظ أن الفخار قد اقتبس كثيرا من فخار مروى الجميل • فقد صارت بلاد النوبة الآن دولة مسيحية لها مكانة مرموقة بين دول الشرق الادنى كما كتبت اللغة النوبية فى هذه الفترة •

اللغة النوبية :

هذا وقد قام بعض العلماء من قبل بدراسة هذه اللغة وتمكنوا من وضع قواعد لها معتمدين على النصوص التى وجدت لهذه اللغة فى أوائل هذا القرن ولكن لم تكن دراساتهم بتلك الدقة التى درست بها بعض اللغات القديمة فى وادى النيل ، ولم تبلغ أعمالهم الكمال الذى ننشده فى مثل هذه

الدراســات • ولكن كان السبب الرئيسى فى ذلك ندرة النصوص النوبيــة • ومما يستحق الاشارة اليه ونحن فى هذا الصدد أن الحفائر الاثرية التى تمت فى بلاد النوبة السودانية قد أدت الى اكتشاف عدد ليس بالقليل من النصوص النوبية فى أماكن متعددة • ومن أهمها ذلك الكتاب الذى وجد فى سره شرق على بعد ثلاثين كيلومترا شمال وادى حلفا • فهذا الكتاب من الجلد ويتكون من خمسة وعشرين صفحة ، كما انه بحالة جيدة • وكذلك الرق الذى اكتشف فى جزيرة عمكة على بعد ٢٥ كيلومترا جنوب وادى حلفا • هذا وقد تم العثور فى عام ١٩٦٧ على عدد من مثل هذه الوثائق فى جزيرة أتيرى فى منطقة الشلال الثانى • ومما لا شك فيه فان هذه الاكتشافات سوف تساعدنا كثيرا على فهم اللغة النوبية القديمة أكثر من ذى قبل ، زيادة على المعلومات التاريخية التى يمكن أن نستخلصها من هذه النصوص •

ومن سمات هذا العصر تلك المبانى العظيمة من كنائس واديرة نراها فى أماكن متعددة فى بلاد النوبة • فقد أفضت الاعمال الاثرية الحديثة الى اكتشافات مهمة فى فرس اضفت كثيرا من المعلومات القيمة عن تاريخ العصر المسيحى فى السودان فاكتشفت كنيسة لم يسبق لها مثيل فى بلاد النــوبة وجدت على جدرانها كتابات بعضها عناوين المشاهد المرسومة ، والاخــرى كتابات طويلة باللغة النوبية والقبطية • كما نجــد مئات الكتابات الصغيرة باللغة الاغريقية والقبطية•هذا وقد وجدت كتابتان من هذه الكتابات مؤرخة• وعلى كل حال فأهم كتابة وجدت فى هذه الكنيسة هى تلك التى تضم سجلا لاسماء بعض مطارنة فرس • فقد وجدت فيه اسماء سبعة وعشرين أسقفــا مع مدة رسامتهم والشهر الذى مات فيه كل أسقف وكذلك اليوم • ولكن بالاسف ، لم يذكر هــذا السجــل التاريخى المهم السنة التى مات فيها كل واحــد منهم •

ومن الجدير بالذكر أن عشر لوحات تذكارية لعشرة مطارنة قد اكتشفت هنا وكلها تذكر تاريخ الوفاة والعمر • كما عثر على عدد من أحجار التأسيس جاءت فيها تواريخ بناء بعض المبانى الدينية فى فرس وأسماء الملوك ونوابهم

والاساقفة الذين تم في عهدهم تشييد هذه المباني • فمثلا نرى أن بناية قـد بنيت في السنة الحادية عشرة من حكم الملك مرقوريوس عام ٧٠٧ من الميلاد، عندما كان ماركس نائبا للملك ، وباولوس مطرانا لفرس • ولا شك أن كل هذا سيساعدنا في تتبع مجـرى الحوادث في بلاد النـوبة في ذلك العصر حسب الترتيب الـزمني الامر الـذى كنا نفتقر اليه فى الماضى قبل اجـراء هـذه الحفـائر •

الفخــــار :

وزيادة على هذا ، وجدت مواد أخر تساعد على معرفة التتابع الزمنى وأعنى بها الفخار • فقد استلزمت ندرة الاشياء التى يمكن تأريخها مباشرة كالمسكوكات والكتابات فى أغلب المواقع الاثرية فى بـلاد النوبة ايجاد طريقـة يمكن تطبيقها لتحديد حقبها التاريخية وعلاقاتها الثقافيـة ببعضها البعض • وعليه كان من أهداف مصلحة الآثار السودانية من المسح الاثرى الذى أجرته القيام بتحليل كامل مفصل للفخار القديم لتلك المنطقة ، حتى يسهل التعرف على نوع المواقع الاثرية وتاريخها من الخزف • ولقد اعتاد العلماء منذ المساحة الاثرية الاولى لبلاد النوبة المصرية على وصف المواقع بانها تنتمى الى احدى الثقافات الرئيسية على أساس نوع الفخار الذى يجدونه فيها • ولكن هناك ما يبرر الاعتقاد بان الفخار فى أماكن كثيرة وعصور متعددة يمكن أن يكون دليلا تاريخيا مضبوطا أكثر من ذلك • وخاصـة فيما يتعلق بالفخار المزخرف لانه نادرا ما يصنع بنفس الطريقـة لاكثر من بضعة أجيال ، وذلك لخضـوعه للذوق الدارج • ولا شك أن الذى أتاح ايجاد تواريخ مضبوطة بواسطـة الفخار لبعض أنحاء العـالم هو تحقيق وتمييز التغييرات الطفيفـة فى نمط صناعة الفخار أكثر من أى عامل آخر •

وبالرغم من هذا فلم تتمكن من قبل من تقـويم وترتيب فخار العصر المسيحى فى السودان ترتيبا تاريخيا أى أن تتتبع النماذج المتغايرة وتطـور أشكالها ، أما الآن فقد أدت العمليات الاثرية الى اكتشاف مصانع الفخـار

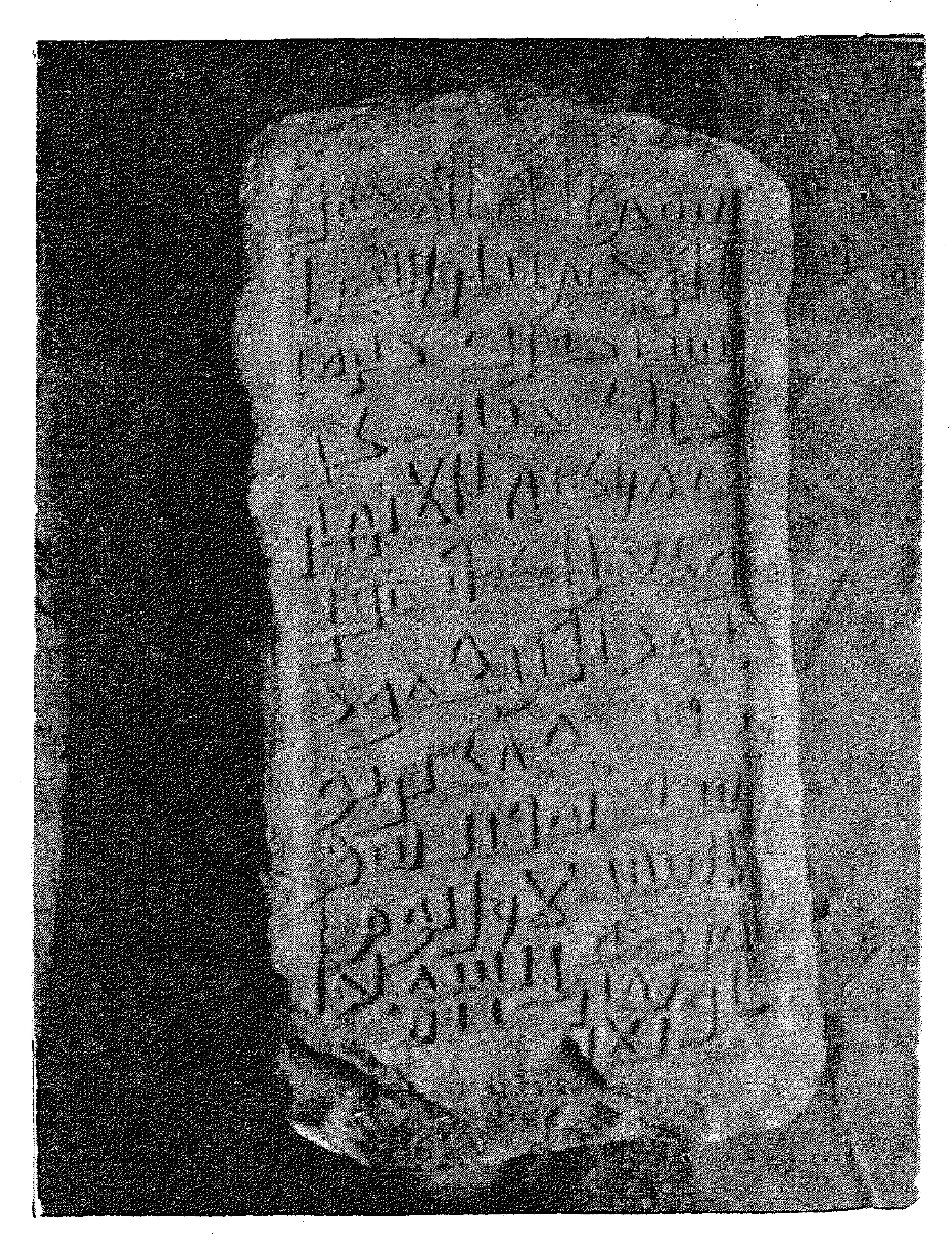
فى فرس وأماكن أخرى فى النوبة السودانية ، مما أزاح الستار عن كميـــات كبيرة من الفخار فى طبقات مرتبة فوق بعضها البعض بكل وضوح • ومن دراسة هـــذه المجموعات جميعها صـــار من الممكن تمييز التسلسل المستمر لتطور الفخار فى بلاد النوبة السودانية من العهد الكلاسيكى للمجموعة (X) الى أواخر العصر المسيحى ، أى لفترة تبلغ أكثر من عشرة قرون ، ومازالت الابحاث مستمرة فى هذا الصدد ونأمل أن يكون لدينا سجل كامل يشمـــل جميع الانواع من الفخار فى بلاد النوبة السودانية بعد الحملة التى شنت لانقـــاذ الآثار •

متى بدأ تغلغل الديانة المسيحية :

أما دخول المسيحية فى السودان فقد اعتاد العلماء تأريخ العهد المسيحى فى بلاد النوبة من وقت وصـــول البعثات التبشـــيرية الى تلك البـــلاد فى عام ٥٤٢ م• ولكن ليس معنى هذا ان التعاليم المسيحية لم تكن معروفة قط من قبل فى بلاد النوبة • فنظرا الى أن المسيحية كانت الديانة الرسمية لمصر منذ أكثر مـــن قرنين من ذلك التاريخ وان التأثير الرومانى المصرى كان واضـــحا فى ثقافة المجموعة (X) فيكون غريبا ألا يكون للـــديانة المسيحية تأثير على النوبيين قبل مجىء الارساليات التبشيرية • فلدينا الآن من الادلة الاثرية ما يشير الى أن بعض النوبيين على الاقل قد مارسوا المسيحية فى عهد المجموعة (X) • اذ تم العثور فى مينارتى على بعد ستة أميال جنوب وادى حلفا على مصابيح نذرية مسيحية فى طبقتين يرجـــع تاريخهما ، بدون أى شك ، الى عصر المجموعة (X) ، كما وجدت أوانى فخارية حفرت عليها رسوم صليبية الشكل وعلى هذا يكون من المحتمل أن الجو كان مهيئا فى هذه البلاد لقبول الديانة المسيحية من قبـــل مجىء الارســـاليات المسيحية • وهـــذا ربما يفسر النجـــاح السريع الذى أحرزته تلك الارساليات فى نشر الديانة المسيحيـــة بين النـــوبيين •

أما لاى المذاهب المسيحية كان ينتمى المسيحيون الاوائل من النوبيين فدائما كان مصدر اختلاف المؤرخين وتضارب آرائهم • فالرواية الرئيسية فى هذا المجال والتى وصلتنا من يوحنا الافسوسى ، فى كتابة (التاريخ الكنسى) تؤكد أن الغلبة كانت لليعاقبة من أول الامر اذ سبقوا منافسيهم من الملكانيين الى بلاد النوبة • ولكن وبما أن يوحنا هذا كان من الانصار المتعصبين لمذهب اليعاقبة المعادين لقرارات خلقيدونية فيبدو أنه كان متحيزا فيما ذهب اليه • والا فانه يصعب تعليل انتماء مملكة المقرة فى الجنوب الى مذهب الكنيسة الارثوذكية • وزيادة على هذا فقد جاء ما كتبه سعيد ابن بطريق الملكانى ، والذى كان بطريق الاسكندرية من ٩٣٣ الى ٩٤٠م• مناقضا لما ذكره يوحنا • اذ يؤكد سعيد أن كل النوبيين كانوا يدينون بمذهب الملكانيين فى بادىء الامر ولم يلجأوا الى مذهب الكنيسة القبطية الا بعد فتح العرب لمصر ، عندما خلا كرسى البطريق للكنيسة الارثوذكية فى الاسكندرية •

هذا وقد أشار بعض العلماء من أمثال يونكر أن شواهد القبور التى وجدت من قبل فى بلاد النوبة تخالف قول يوحنا الافسوسى • والآن تشير الادلة الاثرية الى صحة رواية سعيد بن بطريق • اذ أننا نلاحظ أن أقدم الكنائس النوبية قد تميزت بهيكل صغير وبسيط فى نفس الوقت ، ولم يفصله من جمهور المصلين الاحظار من الخشب ، هذا ولم يكن هناك وجود للمنبر ، كما كان موضع المذبح الى الخلف كثيرا • ولكن نجد أن تغييرا كاملا قد حدث فى القرن الثامن الميلادى أدى الى توسيع الهيكل وفصله من المصلين بحجاب من الطوب • وبما أننا نربط هذه النزعة بالكنيسة القبطية ، وبما اننا وجدنا أن التحول قد حدث فى كل أنحاء البلاد فى آن واحد ، فيتضح أن التحول كان من نظام الكنيسة الارثوذكية الى نمط الكنيسة القبطية • وهذا مما يؤكد صحة ماذكره سعيد بن بطريق ويدحض ادعاء يوحنا الافسوسى • وهكذا نجد دليلا آخر يؤيد ما ذهب اليه يونكر ومونرى دى فيارد فى هذا الصدد •



شاهد قبر وجد فى دبيره ومؤرخ من عام ٣٨٨هـ (٩٩٨م)

الهندســة المعمــارية :

أما عن الهندسة المعمارية فى بلاد النوبة المسيحية ، فقد أضفت الحفائر عنها معلومــات قيمة • فمن المخلفــات الملموسة للحضــارة النوبية المسيحية الكنائس التى نجد آثار أعــداد كبيرة منها مبعثرة هنا وهناك فى جميــع أنحاء البلاد • وهذه الكنائس ، وأغلبها من الحجم الصغير ، كانت على طراز الباسلكا الذى كان شائعا فى االعالم البيزنطى ، وقد بنيت الغالبية العظمى من هــذه الكنائس من الطوب النيىء • ولكننا نرى كنائس أخــر كبيرة بنيت من الحجر والطوب الاحمر مثل الكنيسة التى اكتشفت أخيرا فى فرس •

وقد قام من قبل بعض العلماء من أمثال مايلهام ، وسومرز كلارك ، ومونرى دى قيارد بدراسات عامة حول موضوع هندسة البناء فى الكنيسة النوبية • وبالرغم من أن مؤلفاتهم فى هذا الصدد تعتبر اليوم من المراجــع الرئيسية ، الا أن دراساتهم جاءت ناقصه اذا كانت قائمــة على فحوص أثرية محدودة وغير منظمة فى بعض الاحيان • فلم يحالفهم التوفيق فى ملاحظــة التحول وتمييز التغيير الذى كان يطرأ من فترة الى فترة على هندسة البناء للاغراض الدينية وأهمية تسلسلها الزمنى فى العصر المسيحى فى بلاد النوبة • ولكننا ، وبفضل الاعمال الاثرية التى حدثت هناك أخيرا ، نستطيع الآن أن ندرس تطور الهندسة المعمــارية للكنيسة النوبية دراســة مفصلة دقيقه ، اذ أظهرت الكنائس التى أكتشفت نتيجة لهذه الاعمال عدة اتجاهــات تطورية ثابتة ، كما نستطيع ليس تحديد المراحل التطورية الرئيسية فحسب ، بل يمكننا فى أغلب الاحيان اثبات أصولها التاريخية • كما صــار من الممكن تقــديم دراسة كاملة لطرز وانماط الكنيسة النوبية وتواريخها حسب التسلسل الزمنى•

هذا وقد ظهرت شواهد كثيرة للبناء من أجل السكنى الامر الــذى لم يكن معروفا من قبل الا من موقع واحد الا وهو سوبا ، عاصمة المملكة النوبية المسيحية العليا على بعد اثنى عشرة ميلا جنوب الخرطوم على النيل الازرق • ولكننا الآن نعرف كيف كان تصميم المنازل وطريقة بنائها وموادها

وحالتها العامة فى العصر المسيحى ، فقـد اكتشفت حديثا عـدة مدن مسيحية فى بـلاد النوبـة السـودانية •

ومن الاكتشافات التى جعلتنا نعيد النظر فى تاريخ طراز معين من المبانى التى نراها فى كل أنحاء بلاد النوبة ، بناية من الطوب الاحمر شيدت على قبر المطران بطرس • وهى عبارة عن قبة ترتكز على أربعة عقود كل عقد يفتح الى احدى الجهات الاربعة • فقد كان الاعتقاد السائد أن هذا الطراز من البناء قد ظهر فى بلاد النوبة فى العهد الاسلامى • وبما أن هـذا القبر قبر بطرس ، مطران فرس الـذى مات عام ٩٩٩ من الميلاد بعـد أن عمر ثلاثة وتسعين سنة حسب المعلومات المستقاة من لوحته التذكارية التى وجـدت مبنية فى الجدار الشرقى للقبة من الخارج ، فيتضح جليا أن تاريخ هـذا البناء يرجع الى العصر المسيحى لا الاسلامى كما كان يظن من قبل •

الفـن :

أما من الناحية الفنيـة ، فلا شك أن أهم حدث فى هـذا الميدان هو اكتشاف كنيسة فى فرس تزين جدرانها رسوم وزخارف لها قيمة فنية عالية ، كما انها تعبر عن كثير من التعاليم المسيحية وتصور مشاهد عدة من الانجيل• وهذه الصور تعتبر من أجمـل الرسوم المسيحية القديمة • وعلى ضـوء الدراسات التى ستجرى على هذه الزخارف والصور سيكتب تاريخ الفن فى بلاد النوبة المسيحية من جديد • وزيادة على ذلك فقد دحضت هذه الصور بعض الآراء التاريخية التى كانت سائدة مـن قبـل • فكان الاعتقاد العـام أن بلاد النوبة كانت تستورد جميع مطارنتها مـن مصر وان النوبيين لم يشغلوا الا الوظائف الكنائسية البسيطة • ولكن ظهرت على جدران هذه الكنيسة صور رائعة لاساقفة نوبيين بجانب صور السيدة العذراء والمسيح والقديسين

والحواريين ، كما نرى عددا من أعضاء العائلة المالكة النــوبية ، وقد ميز النوبيون الذين رسموا فى هذه الكنيسة عن الشخصيات الاخرى بسمـرة لونهم • فمثلا نجـد السيدة العـذراء بيضاء بينما الملكة النوبية التى تقف بجانبها سمراء اللون • أما عن الرسوم نفسها ، فالحديث عنها يطول ، والمجال عن ذكرهـا يضيق وليس من الممكن تناولها بالتفصيل فى هذه العجالة ، فقـد اكتشفت أكثر من مائة وعشرين صورة أغلبها بحالة جيدة لم نر مثلها من قبل فى كل بلاد النوبة • وعليه ساكتفى بالاشارة الى أهم الصور وأبدعها رونقا• فقد وجدت اثنتان على جدار الكنيسة الشرقى من الخارج فى غرفتين صغيرتين بنيتا على الكنيسة نفسـها ، احداهمـا للسيدة العـذراء والاخـرى للملاك ميخائيل • والصورتان تختلفان عن التى وجدت من قبل فى مصر والسودان• اذ تقومان على قواعد جمالية وأصول ذوقية تختلف عن تلك التى تقوم عليها أشكال القـديسين الاقباط • فالعيون لوزيـة ، والرسم دقيـق طبقا للمفهوم الكلاسيكى لنظريـة التناسب والتناسق فى الرسم • فالالـوان الزاهية الحية لهذين الرسمين وحالتهما الجيـدة تجعلهما نموذجـا نادرا للفـن البيزنطى فى بلاد النـوبة •

ومن أهم الصـور التى حازت اعجاب الجميع وأثارت اهتمام العلماء مشهد ميلاد المسيح عليه السلام • فقد عثر من قبل على رسـوم فى كنائس أخر تناولت نفس الموضوع ولكن الصورة التى نحن بصددها الآن قد وجدت بحالة جيدة تفوق أى رسم وجد من قبل ، كما تضم أسماء جميع الاشخاص الذين ظهروا فيها • فنرى السيدة مريم العذراء على سرير فى وضع يحف به الاجلال والهدوء ، وعلى رأسـها التاج الملوكى الثمين ، والى جانبها الأيمـن الطفل يسوع مضجعا على شىء بين بقر وحصان كما نرى ثلاثة من الملائكة جبريل على جانب قدمى العذراء ، وروفائيل وميخائيل الى جانب رأسها • ونلاحظ أن الملائكة يرتدون ملابس ثمينة فاخرة •

أما الجزء الثانى من المنظر فيظهر فيه القديس يوسف جالسا الى جانب سرير السيدة العذراء ، وبجانبه الرعاة الذين زاروا يسوع فى بيت لحم • كما نرى ثلاثة من الفرسان هم المجوس الذين جاءوا من الشرق على خيولهم• وقد وضعت أسماء المجوس ثلاثتهم وهى تتفق واسماء المجوس التى وردت فى التقاليد الغربية • وقد أنجز الفنان هذه الصورة بمهارة فائقة ، واهتمام شديد • كما اعتنى بالتفاصيل الدقيقة لكل شيء جاء فيها • فمثلا نرى بوضوح زينات الخيول وعدتها ، وملابس الناس وحتى الجواهر التى على حللهم • فلا عجب أن تثير هذه الصورة اعجاب العلماء فانها مثال فريد فى بلاد النوبة لفن توضيح المواضيع بالرسم ، كما انها نموذج رائع للتأثير البيزنطى فى تلك البلاد •

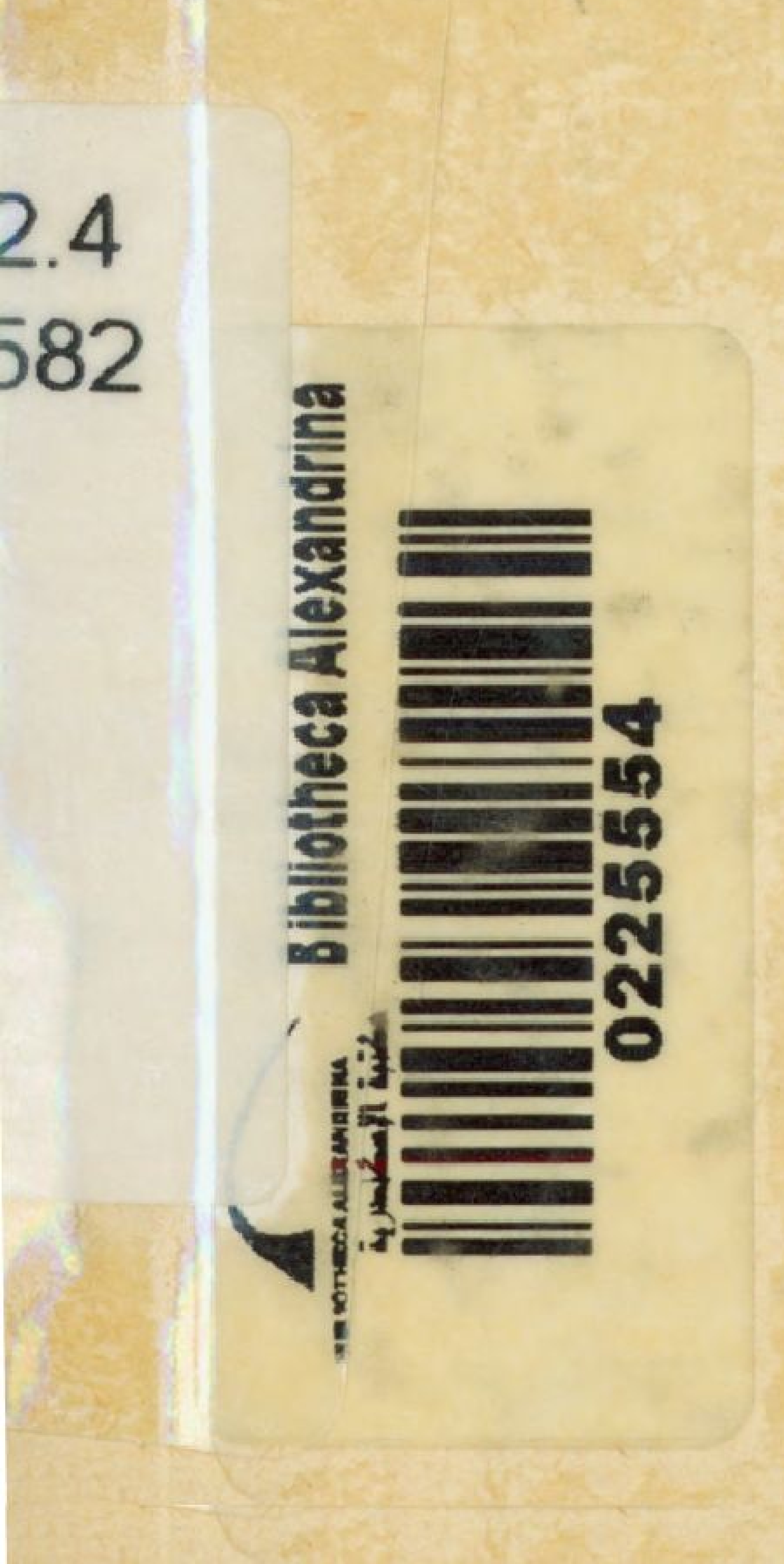
وصورة أخرى لا تقل عن هذه التى سبق الحديث عنها فى جمالها ورونقها ، وزهاء ألوانها والحالة الجيدة التى احتفظت بها طوال القرون • فهى تصور الفتيان الثلاثة مع الملاك ميخائيل فى اتون النار • وقد وجدت صور كثيرة للسيدة العذراء مع ابنها فى مواقف مختلفة كما وجدت رسوم تمثل القديسين والمطارنة وجميعها باسماء الاشخاص •

وهناك صورة أخرى تعتبر من أهم الصور فى هذه الكنيسة لا من الناحية الفنية ولكن من ناحية الموضوع الذى تعبر عنه ، اذ لم نجد فى كنائس النوبة رسما يعالج نفس الموضوع من قبل • فهذه لوحة تمثل انزال المسيح من الصليب وحمل جثته الى القبر ففى الصورة ثلاثة صلبان ، الاوسط يحمل السيد المسيح والآخران يحملان اللصين كما جاء فى الانجيل • ثم نرى أحد الجنود صاعدا فى مقعد وبيده كماشة ينزع بها المسمار من يد يسوع• وفى نفس المكان وتحت هذه الصورة يظهر رجل وفى يده اليسرى صولجان ، ويمد الاخرى لرجل وامرأة عريانين ، وفى الجانب الآخر حية • ولا ريب أن الرجل والمرأة هما آدم وحواء • فهذه الصورة تصور قصة الخطيئة الاولى واخراج آدم وحواء من الجنة •

ثم ان الملاحظ فى هذه الصور هو أنها تبين طابعا بيزنطيا قويا ، فالتأثير الكلاسيكى واضح فيها جلى • فقد أنجزت هذه الصور على المنهاج البيزنطى ولما كان لفتح العرب لمصر أثر عميق فى بلاد النوبة ، اذ انقطعت صلتها مع بيزنطة بعد ستين سنة فقط ، وضعف ما كان يصلها من الثقافة والدين من البحر الابيض المتوسط مع مرور الزمن ، بالرغم من أنهم كانوا على اتصال بالعناصر المسيحية فى مصر ، ونظرا لوجود هذا الحاجز الذى فرضته مصر الاسلامية بين بلاد النوبة وبيزنطة يكون عجيبا أن يستمر الطابع البيزنطى فى الفن كما رأيناه فى اكتشافات فرس ، ولكن يبدو أن تأثير الكنيسة البيزنطية كان عميقا فى بلاد النوبة فى الاصل •

مطبعة التمدن بالخرطوم

تأليف
نجم الدين محمد شريف
مدير مصلحة الآثار



الطابعون : مطبعة التمدن